روايات عبير

فلورا كيد

لا تقولي لا

٣٠

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 30

لا تقولي لا

ليس خاتم الزواج بداية ولا نهاية، بل اشارة الى بدء مرحلة جديدة من مراحل الحياة. والمفروض أن يسقط الرجل كل مغامراته السابقة وان تنسى المرأة احلامها المفقودة، كي يبدأ الشريكان رحلة الحياة المنسجمة في وضوح وحب يكبر يوماً بعد يوم... الاّ ان غلطة صغيرة وقعت... سوء تفاهم تافه... مما ادى الى انفصال ديانا عن جايسون، وعندما شاءت الظروف ان يلتقيا من جديد، وجد الاثنان صعوبات كبيرة في التغلب على الماضي. فوحده الحب يستطيع ان ينقذهما... لكن هل يحبان بعضهما بعضاً أم هناك قصة حب اخرى لدى كلّ منهما تمنع عودتها الى الحياة الزوجية؟

لبنان	[illegible]	الكويت	٧٠٠ ف	اليمن	٨ ر	السودان	٨٠٠ م
سورية	[illegible]	الامارات	٩ د	تونس	١ د	U.K.	£ 1
الأردن	[illegible]	البحرين	٩٠٠ ف	ليبيا	٧٠٠ د	France	F 10
العراق	[illegible]	قطر	٩ ر	المغرب	٨ د	Greece	Drs 120
السعودية	٨ ر	عمان	٩٠٠ ب	مصر	٨٠٠ م	Cyprus	P 1

١ ـ السحابة والبركان

كان الفندق كبيراً، حديثاً وانيقاً، ويقع على الطريق التي تصل المطار بقلب المدينة، وهو مؤلف من بنايتين متلاصقتين: الاولى من خمسة طوابق، والثانية من ثلاثة طوابق. واجمل الغرف هي التي تطل على المدينة، حيث المنظر رائع جداً، اذ تقع المدينة وسط الوادي الذي تحيط به سلسلة من الجبال الشاهقة.

من نافذة غرفتها، وقفت ديانا كلارك تستعرض المناظر الجميلة، تدهشها الاضواء المتلألئة التي تضفي بريقها على كيتو عاصمة الاكوادور. غابت الشمس كالعادة في الساعة السادسة والربع. وفي لحظة واحدة، ارتدت قمم الجبال الواناً مختلفة مروراً بالاخضر والوردي ثم الاحمر الداكن.

وفجأة انطفأت انوار المدينة وظهرت في الفضاء غيمة، بدت شاحبة شفافة، من التلة التي يقوم عليها الفندق.

خيّل الى ديانا في تلك اللحظة انها انتقلت الى عالم ساحر خلاّب. كأنها على قمة برج تابع لأحد القصور التي تتحدث عنها الاساطير وهي تحلق في السحب. رفعت عينيها ورأت شمس المغيب تضيء القمم الثلجية فوق بركان منتصب تحت سماء مرصعة بالنجوم، وقالت ديانا لنفسها حالمة:

«هنا، يستتب الأمر من الآن فصاعداً، سأكون انسانة سعيدة»

ما لبث البركان ان غرق في الظلمة وذاب في العتمة. وتبعثرت الغيمة قبل ان تختفي. ولاحظت ديانا ان غرفتها غارقة في العتمة. تنفست الصعداء وغادرت الشرفة ودخلت الى غرفتها واشعلت النور.

وفي الحال تلونت الغرفة الفاخرة باللون الوردي. اضاءت ديانا المصباح الكهربائي قرب السرير، ونظرت الى المرآة. شاهدت امرأة شابة، ممشوقة، ونحيفة، لها شعر كستنائي ذو بريق ذهبي، وجهها بارز ذو تقاطيع ناعمة ووجنتين نافرتين، وعينين عنبريتين، تعكسان بعض الخجل، وشفتين ناعمتين ممتلئتين تظهران حرارتها وسخاءها.

وبالفعل فان الذين يتعرفون الى ديانا كلارك للمرّة الاولى يدهشهم هذا المزيج الغريب في شخصيتها حيث الخجل والرغبة متفقان بانسجام.

وصلت ديانا الى كيتو منذ ستة ايام، مع والدها، كريستوفر فارلي ، المدير العام للشركة النفطية التي تصنع الآليات لبناء ابراج الحفر والتنقيب. وقد سبق لهما وقاما معاً بزيارة لعدة بلدان في اميركا الجنوبية. وهما الآن في الاكوادور يلبيان دعوة السينيور سانشو سواريز الذي يملك اسهماً كثيرة في احدى ناقلات البترول العالمية التي تقوم بالتنقيب عن البترول في البلاد.

رافقت ديانا والدها رغبة منها بالتغيير. كانت مضطرة الى اتخاذ قرار مهم يتعلق بزواجها. وشعرت بحاجة الى ان تبتعد عن جو البيت في لندن كي تكتشف حقيقة عواطفها تجاه جايسون كلارك زوجها الذي افترقت عنه.

جلست امام مكتب صغير وراحت تبحث في جواريره عن ورق لتكتب رسالة الى عمتها. كان والدها يقوم بجولة استكشاف في الادغال، حيث آبار النفط وهي تنتظره لكنه تأخر اكثر من أربع

ساعات، فراحت تكتب الى عمتها جرترود ، لعل الكتابة تخفف من القلق الذي يكاد يخنقها من جراء تأخر والدها.

اخبرتها كل ما جرى لها منذ وصولها الى كيتو، قبل اسبوع. لقد احبت المدينة التي تبدو في ربيع دائم بسبب مناخها المعتدل برغم موقعها العالي.

الاحياء القديمة، والشوارع الضيقة والشرفات المعلقة، تحمل الطابع الاسباني. فالبيوت مؤلفة من طابقين، جدرانها مطلية بالكلس الابيض وسقوفها من القرميد المخضر بمرور الزمن. تلتصق على بعضها البعض على جهتي الطرقات الصغيرة المنحدرة. وفي ساحة الاستقلال، ما زالت الكاتدرائية وقصر الحكومة يحملان آثار الثورة. لكن المرتفعات المزهرة والاشجار الملتفة، كلها تدعو الى النزهات والى التسكع.

وبرفقة ماريا، زوجة سانشو سواريز الرائعة، ورامون، ابنها البالغ من العمر تسعة عشر عاماً، زارت ديانا مبنى خط الاستواء، الذي يبعد بعض الكيلومترات عن العاصمة كيتو. هناك تصورت ديانا جزءاً منها في نصف كرة الارض الشمالي والجزء الثاني في النصف الآخر الجنوبي. كما زارت معهما الكومبانا ، كنيسة كيتو المشهورة. كان الدليل عجوزاً هندياً ذاوجه داكن وبارد يحمل شمعة مزخرفة. وعندما شاهدت ديانا الكنيسة في الداخل اصابتها الدهشة: التماثيل والمنبر والكرسي واطارات اللوحات، كل شيء،حتى السقوف العالية،تبدو كأنها مطلية بالذهب السائل...

وضعت ديانا يديها لحظة على المكتب تدعك اصابعها لتنشطها. لم تكن تضع في اصابعها سوى خاتم ضخم من الذهب الثقيل.

وعاودت الكتابة، واذا بها تسمع نقرة خفيفة على الباب. التفتت بانتباه واصغاء، سمعت طرقة من جديد، لا يمكن ان يكون الطارق

والدها، لأنه عادة يعلن عن قدومه بعزم وقوة، ولأنه يدخل غرفته، ثم يدخل غرفتها من باب الاتصال الذي يصل الغرفتين.

نهضت ديانا ببطء وتوجهت نحو الباب. صحيح إنها معجبة باهالي الاكوادور لكنها ليست مستعدة لأن تفتح الباب لانسان مجهول. اذا كان الزائر واحدا من معارفها، لأبلغوها عن ذلك في مكتب الاستقبال.

سمعت ديانا طرقة ثالثة عندما كانت يدها ما زالت على مسكة الباب. ففتحته ببطء وكان الطارق فيليكس اصغر حجّاب الفندق. فقال بتهذيب وبلغته الاسبانية:

«مساء الخير، سيدة كلارك».

«مساء الخير، فيليكس».

كانت تود الا يتابع حديثة باللغة الاسبانية، كي تستطيع ان تفهمه. ويبدو انه ادرك ما يدور في ذهنها، تابع فيليكس حديثة بلغة انكليزية مترددة التقطها من السواح الاميركيين:

«في قاعة الاستقبال شخص يريد ان يراك».

«ما اسمه؟»

«لم يقل اسمه بل سأل مكتب الاستقبال عن رقم غرفتك. لكن الموظف هناك رفض ان يعطيه الرقم الا اذا عرّف الشخص عن حاله. لكنه اصرّ الا يعطي اسمه. ولما رآني طلب مني ان اطلب منك موافاته في المقهى وانه سيدفع لي بعض المال اذا قمت بذلك. هل ستأتين يا سيدتي؟ ارجوك ان تأتي حتى يدفع لي المال».

احنى رأسه متوسلاً. ترددت ديانا. هل من الحكمة ان تذهب لرؤية هذا الرجل الذى رفض الموظف ان يدله الى غرفتها؟

توسل اليها فيليكس:

«اذا لم تأت، سيدتي، سيغضب عليّ هذا الرجل. ولا احب ان اكون عندما يغضب. فهو طويل القامة وقوي، ارجوك يا سيدتي، ان تذهبي اليه».

اجابته مبتسمة:

«اني آتية، انتظرني»

تألق وجه ديانا وراح فيليكس يبتسم مظهراً اسنانه العريضة البيضاء.

اخذت ديانا حقيبة يدها وتأكدت من وجود مفاتيح الغرفة داخلها. ولم تنس ان تلقي نظرة الى المرآة لتتأكد من ان فستانها الأخضر لا عيب فيه. ثم خرجت واقفلت الباب وراءها وتبعت فيليكس حتى المصعد.

كان المقهى مضاء بنور خافت. ومع ذلك كان في وسعها ان تلاحظ الوجوه وراء الطاولات الصغيرة المستديرة، القائمة حول منصة، حيث مجموعة من الموسيقيين يعزفون الموسيقى الاميركية - اللاتينية.

سلك فيليكس ممراً يؤدى الى مؤخرة القاعة وتبعته ديانا. وكادت ان تختنق لدى رؤيتها ظهر الرجل، له كتفان عريضان وشعر قصير. توقفت جامدة وراح قلبها يخفق بسرعة كأنما تركض مسافة طويلة.

لا يمكن ان يكون هذا جايسون؟ ربما واحد يشبهه...

كان فيليكس يشرح له بسرعة ماداً يده نحوه فالتفت الرجل، ورأت ديانا ملامحه وشعرت بحدة عينيه الزرقاوين.

واذا بجايسون يضع يده في جيبه ويخرج قبضة مليئة بالنقود ويضعها في يد فيليكس الممدودة نحوه. شكره فيليكس وانصرف.

كان الرجل يدير ظهره وكأنه غير مبال انها انضمت اليه. غالباً ما

كانت تتخيل هذا اللقاء مع زوجها جايسون، الذى افترق عنها منذ سنة تقريباً، تاركاً شقتها في لندن، متهماً اياها بعدم ثقتها به. لكنها لم تتصور ابداً ولو في الاحلام انها ستلتقيه في بلد آخر، وفي قارة اخرى، وفي هذه المدينة الساحرة بالذات.

كانت قدماها ترتجفان، وهي تسأله في صوت مبحوح:

«ماذا تفعل هنا؟»

وضع كأسه الفارغة ورفع عينيه ببطء نحوها وابتسم قائلاً:

«اني انتظرك، لماذا لا تجلسين؟»

سقطت ديانا في الكرسي وقالت:

«انت آخر انسان انتظر ان اراه هنا».

«الم يقل لك كريستوفر اني اعمل هنا».

«كلا، فهو لو قال...»

توقفت فجأةعن الكلام. لماذا لم يخبرها والدها بوجود جايسون في الاكوادور؟ هل كان يخشى ان ترفض مرافقته؟

ادرك جايسون ما يجول في خاطرها فقال:

«لو عرفت لما اتيت معه. عظيم، لقد فهمت».

«كلا. لا...لم أكن اريد ان اقول ذلك لكن، ربما ظن والدي ذلك».

اطلق جايسون ابتسامة ساخرة:

«ما زلت لا تعرفين كيف تتصرفين؟ في كل حال لننسى الامر. ماذا تحبين ان تشربي؟»

«ماذا تشرب انت؟»

«اشرب عصير الحامض بالنعناع، انه منعش ولذيذ الطعم، ما رأيك بكأس منه؟»

وجدت ديانا من جديد اهتمامه المألوف وشعرت انها مجردة من اي

حقد عليه. لكنها استدركت الامر، فيجب الا تستسلم لسحره.

قالت بنبرة هادئة:

«آخذ زجاجة كوكاكولا».

بعد ان جاء المشروب واحتست منه جرعة، سألته وهي تنظر اليه يشعل سيكارة وهي لم تره يدخن من قبل.

«لماذا تنتظرني؟ »

حدق جايسون بها في نظرة غير مباشرة وهمس قائلاً:

«لأطلعك على امر لن يعجبك».

«انه يتعلق بوالدي، اليس كذلك؟ فقد تأخر في العودة. ماذا جرى؟»

ومن جديد، نظر اليها ليتأكد من قدرتها على تحمل الخبر. هل هي قادرة ان تتحمل صدمة أخرى؟

وسألته بالحاح:

«قل لي، يا جايسون. واعدك الا اتصرف تصرفاً احمق. لا اغماء ولا نوبة عصبية. ارجوك. لا تجعلني انتظر اكثر».

«تحطمت الطائرة التي كانت تنقل والدك إلى بونو على مدرج الهبوط وهو الآن جريح. فقد اصيب بكسور في اضلاعه وفي ذراعه اليسرى».

«اين هو الآن؟ يجب ان اذهب اليه حالاً».

انتفضت ديانا وراحت ترتجف بقوة وتخيلت والدها الجريح وحيداً في احد المستشفيات الممتلئة ذباباً ساماً. نهض جايسون واخذها بيده واعادها الى الكرسي.

«ارجوك ان تتسلحي بالهدوء! فوالدك بين ايدي اطباء وممرضين يعتنون به كل الاعتناء في المستشفى الذي تديره المؤسسة العالمية للصحة. وانا جئت لأخبرك ما حدث، لأن والدك طلب ان يقوم بهذه المهمة احد أفراد العائلة».

احد افراد العائلة؟ لقد لفظ هذه العبارة بطريقة تهكمية. نظرت ديانا اليه. كان يحتسي كأسه الثانية. وبدورها احست بالظمأ وجرعت كأسها حتى افرغته.وشعرت بالشراب المثلج يرطب حلقها فارتاحت. سألته:

«هل يمكنني ان التحق بوالدي في بونو؟»

كان جايسون ينظر الى الراقصة التي دخلت لتوها الى حلبة الرقص، وهي فتاة جميلة، ذات بشرة سمراء وترتدي فستاناً طويلاً، ابيض اللون، يظهر خطوط جسمها المثير.

اجاب جايسون بلهجة غير مبالية:

«اذا كنت تريدين ذلك».

«متى؟»

عادت عيناه الزرقاوان تحدقان في وجه ديانا وتتأملان شعرها اللماع. شعرت انه غير مبال بما حدث لعمه، فكان يبدو منشغلا براحته الخاصة. وقال بعد صمت طويل:

«سآخذك اليه غداً، بعد ان انام هذه الليلة، لأنني متعب للغاية».

راحت ديانا تنظر اليه عن كثب. لقد نحف جسمه عما كان عليه منذ سنة تقريبا. وبشرة جلده لوحتها الشمس كما زادت زرقة عينيه، وشعره الكستنائي يتموج بخصلات ذهبية تشبه القش الاصفر. وكعادته، كان يرتدي ثيابه باهمال: قميص كحلية، وسروال بني فاتح وربطة عنق معقودة بسرعة ومن دون اتقان، وسترة بيضاء ارخاها على مسند المقعد.

قالت ديانا بلطف زائد:

«اشكر لك مجيئك الى هنا».

شعرت برغبة مفاجئة لأنّ تلمس بأصابعها يده السمراء، لكنها

سرعان ما عدلت عن ذلك.

هزّ كتفيه ونادى خادم المطعم الذي اخذ الكأس الفارغة. وفي هذا الوقت كانت المغنية تؤدي اغنية مأساوية بصوتها الرنان.

سألته ديانا وهي تعي جيداً التوتر الشديد الذى حلّ بينهما.

«هل انت في الأكوادور منذ مدة؟»

لم يكن جايسون ذلك الانسان الذي يحب الثرثرة. كان يعبر عن افكاره واحاسيسه باختصار، واحياناً بشراسة. وكان يرد على الاسئلة باقتضاب.

اجابها ببساطة:

«منذ ان بدأ التنقيب عن النفط».

«يعني منذ متى؟»

وتكلّم جايسون بلهجة فظة فتراجعت الى الوراء، كما لو كان يصفعها قائلاً:

«اهذا يهمك فعلاً، أو انك تتكلمين فقط على سبيل الحديث؟»

«ان ذلك يهمني. عندما تركتني وذهبت وبقيت من دون اي خبر منك، كتبت اليك، لأنني كنت حريصة على تتبع اخبارك ولأنني كنت في حاجة الى صحبتك».

لاحظت ارتفاع جبينه استفهاماً، واضافت استمداداً للدفاع عن نفسها:

«انني زوجتك. ولذلك كنت اعتقد ان من واجبي ان اعرف اين كنت وماذا تفعل».

لم يرد. فقد عاد الخادم حاملاً كأساً ثانية مليئة بعصير الحامض المثلج والمحلى. دفع له واشعل سيكارة اخرى واحتسى جرعة من شرابه وعاد يحدق بكأسه.

شعرت ديانا بالغضب يجتاحها تدريجياً. انه ما زال يرفض الخوض في اي حديث من هذا النوع، وستضطر الى طرح اسئلة اخرى وهي تعرف جيدا انه يكره ذلك. واخيرا قالت:

«كنت انتظر جواباً منك على رسالتي وتساءلت مرّات عديدة ما اذا كنت قد تسلمتها».

«نعم، تسلمتها».

«اذن، لماذا لم ترد عليّ؟»

«هل تريدين حقاً معرفة السبب؟»

رفع كأسه وافرغها دفعة واحدة.

اجابت ديانا والغصة في حلقها:

«نعم، ولا شك ان هناك سبباً وجيهاً جعلك تفضل الصمت كل هذه المدة».

كأن شيئا لم يتغير. انه ما زال ذلك الرجل المجهول، الذي احبته أو تخيّلت انها احبته، والذي تزوجته والذي قضت معه اياماً حلوة مليئة بالحب المتبادل.

اجاب وهو يقلد لهجة ديانا:

«سبب وجيه، نعم، بكل تأكيد، من وجهة نظري انا، على الاقل. لم ارد على الرسالة، لأنني اكره ان اعرف انك ستسامحينني على غلطة ارتكبتها».

في كلمات قليلة، اعاد الزمن الى الوراء. كأنهما من جديد وجهاً لوجه في شقتهما اللندنية. فقد تغير الاطار، لكن موقف جايسون ما زال هو اياه وكانت ردة فعل ديانا نفسها ايضاً.

«غلطة لم ترتكبها؟»

قالت ذلك بصوت عال وكررت العبارة مرّات عديدة، فراح الجميع

ينظرون اليها متسائلين ومتفاجئين. لكنها، خوفاً من ان يعتبر الموجودون ان شيئاً ما حدث ويتقدمون للمساعدة، اقتربت منه وقالت بصوت منخفض:

«انت وقح للغاية. لقد ذهبت الى باريس تلبية لدعوة امرأة. وكنت معها كل الوقت».

سقط في كرسيه وراح يحدق فيها بنظرات ثاقبة وساخرة.

«كيف عرفت انني كنت مدعواً الى باريس. لا اعتقد ان صديقتك العزيزة أوتيس هي التي اخبرتك ذلك».

«انني...»

خانتها الكلمات. كانت تعتقد انها قادرة ان تخبره عن الرسالة التي وجدتها في ملابسه، وكانت بتوقيع كارول. لكن، كانت تنقصها الشجاعة. اجابت بحدة ومن دون اقتناع:

«هذا لا يهم. اعرف انك كذبت عليّ، وانك خدعتني واضعت ثقتي فيك».

اخذ يضحك من اعماقه وقال:

«انت تجهلين كل شيء عن الثقة. كنت كلما جئتك متأخراً يوماً او يومين، تنهالين عليّ بالاسئلة، تريدين ان تعرفي اين كنت، وماذا فعلت، ومع اية امرأة كنت...»

«لم اسألك ابداً ذلك. وارجوك ان تخفض من صوتك: فالجميع ينظرون الينا».

«انني لا اهتم لذلك.»

اشعل سيكارة اخرى. سألته ديانا:

«لم تكن تدخن عندما عرفتك. ما الذي جعلك تدخن الآن؟»

«كي اجد الشجاعة لأقول كل ما جرى لوالدك».

«لا اعتقد...»

قاطعها بغضب وقال:

«انها عادتك الا تصدقي ما اقول، اليس كذلك؟ لقد صدقت اونيس وثقت بها، لكن، من اجلي، لا شيء من هذا. هي، صديقتك الحميمة. اما انا فلم اكن سوى المسكين الذي اوقعته في حبالك كي يتزوجك...»

«لم يحدث ذلك على الاطلاق!»

اجابها بسخرية مرة:

«لا؟»

كانت عيناه المتعبتان تعكسان خيبة الأمل. نهضت ديانا فجأة وهمست قائلة:

«لم اعد احتمل ما يحصل».

وكالعمياء خرجت من المطعم، من دون الانتباه الى الناس الذين ترتطم بهم وهي سائرة. وفي باحة الفندق، تبعت مجموعة من السياح الاميركيين ودخلت معهم المصعد الكهربائي. وعندما راحت تقول لأحدهم ان يكبس الزر الخامس، لاحظت وجود جايسون معها في المصعد. كان ينظر اليها بعينيه الساحرتين.

توقف المصعد في الطابق الخامس وخرجت ديانا متجهة نحو غرفتها وكان جايسون يتبعها. فاستدارت صوبه غاضبة وقالت:

«لماذا لحقت بي»

كان ضوء الممر خفيفاً، فبدا وجه جايسون نحاسياً وشعره كشعلة صفراء.

اجابها بهدوء:

«انت ترغبين بالذهاب الى - بوتو وانا وعدتك بأن آخذك لتزوري

والدك في المستشفى هناك. لذلك اعتقد انه من حقي ان اتبعك حتى غرفتك حيث يمكننا الاستعداد للسفر غداً».

مشت ديانا نحو غرفتها، فتبعها بخطواته غير المكترثة. ولما وصلت امام باب غرفتها،حاولت ادخال المفتاح في القفل لكنها لم تنجح. سحب جايسون يدها وقام مكانها بفتح الباب.

دخلت ديانا ورمت بحقيبة يدها على السرير والتفتت صوب جايسون. وشعرت بانفاسه تتقطع. كان قد اقفل الباب واسند ظهره عليه. كان شاحب الوجه، واغمض عينيه من الالم. اقتربت ديانا منه وانتشلت من يده مفتاح الغرفة وسألته:

« جايسون، ما بك؟»

رفع حاجبيه وقال:

«اني اشعر باعياء شديد، اين غرفة الحمام؟»

«من هنا. من هنا».

فتحت باب الحمام وانارت الغرفة. فاندفع جايسون الى هذه الغرفة الصغيرة وصفق الباب وراءه.

وجدت ديانا نفسها واقفة امام النافذة التي تطل على منظر رائع للمدينة. كانت بين الضحك والبكاء. لا شك وهي تتحمل عواقب المفاجأة، اولاً عند رؤية جايسون وثانياً عندما علمت بحادث والدها. وفجأة انقلبت الحياة رأساً على عقب، وهي لا تعرف كيف تعيد التوازن الى مكانه.

ولم تعرف ديانا كم من الوقت مضى وهي امام النافذة تحلم في اليقظة. ولم تعد الى الواقع الا عند سماعها صوت باب الحمام ينفتح. وببطء ابتعدت عن النافذة وعادت الى وسط الغرفة.

كان جايسون شاحب اللون،وشعره منفوش يحمل سترته على

ذراعه. رماها على المقعد القريب منه، وحلّ عقدة ربطة عنقه وخلع قميصه. فوجئت ديانا بتصرفه وشعرت بجفاف في حلقها. وسألته:

«هل تشعر بتحسن؟»

قال ويداه تشدان على زردة زناره:

«ما هذا الاهتمام المفاجىء... هل تذكرت اننا متزوجان؟»

«هل انت بحاجة الى أي شيء؟»

«كلا شكراً. ستتحسن احوالي عندما انام».

جلس جايسون على السرير وضع رأسه بين يديه وراح يصرخ من الالم. ثم انحنى ليفك ربطة حذائه ففهمت للحال ما ينوي فعله وقالت:

« جايسون، لا يمكنك ان تمضي الليل هنا».

«لماذا؟ هل تنتظرين احداً؟»

إحمر وجه ديانا وأجابت:

«كلا. لكن ماذا سيفكر العاملون في الفندق اذا اكتشفوا انك أمضيت الليلة في غرفتي، من دون ان تسجل اسمك في سجل الفندق؟ انا اعرف ان الموظف في مكتب الاستقبال رفض ان يدعك تصعد الى غرفتي».

سألها جايسون:

«اهذا كل ما يهمك؟»

فجأة راح يتثاءب ويؤرجح قدميه الطويلتين على السرير. وكانت عيناه الزرقاوان الثقيلتان تتفرسان في وجه ديانا.

«في امكانك ان تقولي لهم الحقيقة: وصل زوجك بصورة مفاجئة. سيفهمون جيداً. لاتخافي وسوف يسرون ان يقبضوا منك اضعاف المبلغ. اما بالنسبة الي فانني سعيد ان انام. فالسرير واسع اكثر من

اللزوم ويتسع لنا تماماً».

تنهد جايسون مطولاً، وادار ظهره ونام.

راحت ديانا تنظر اليه وفي داخلها تتصارع احاسيس مختلفة تتراوح بين الغضب والضحك. ما الذي حصل لها الآن. شيء عادي في هذا البلد المجنون. هنا تعتبر الحوادث الغريبة كأنها طبيعية وعادية جداً. وقبل ساعة كانت ديانا تجهل تماماً وجود جايسون في الاكوادور، وهو الآن ينام في السرير نفسه الذي امضت فيه الليالي الست الفائتة وحدها.

ان شكل جسمه المألوف، وطريقة تساقط شعره على جبينه، والابتسامة على فمه وهو نائم، كل هذا ايقظ في داخلها ذكريات كانت تعتبرها دفينة الى الأبد. اقتربت من السرير ومدت يدها لتزيح عن جبينه خصلة شعره المتمردة. لكن سرعان ما لجمت رغبتها وعادت الى الوراء بقوة.

كلا، لن تستسلم بهذه الطريقة. عندما يكون جايسون نائماً، فأنه يبدو ناعماً لكن عليها ان تنسى انه مستمر في الدفاع عن نفسه ضد كل ضعف وذلك بعنفوان صامت وشرس. وليس هذا التعبير العاطفي المليء بالحنان الذي يظهره في نومه سوى تعبير سطحي.

عليها اذن ان تكون اكثر واقعية. قامت بخلع حذائه وجواربه، وفكرت بأن تخلع له سرواله الضيق لينام مرتاحاً. لكنها ادركت ان مثل هذه الحركة ستوقظه.

ولا حظت ان في ظهره آثار جروح تمتد من اسفل اضلاعه الى أعلى ظهره، كما لو ان الجلد انقلع شطرين ثم اعيد لأمه، وهي ما زالت حمراء. لم تكن هذه الجروح هناك قبل سنة. هل اصابه حادث ما؟ لا شك انه تألم وهي لم تعرف بذلك ولم تكن بجانبه لمساعدته والاعتناء به.

وفي تأوه اقتربت من الخزانة. وفي احد الادراج اخذت بطانية هندية *الصنع، من الصوف الناعم، مزينة برسوم هندسية، ووضعتها على* جسم جايسون. وكما لو انه شعر بحرارة ناعمة، تنهد بعد الشيء واستدار على جنبه. وتساءلت ديانا، العمل هو الوسيلة الوحيدة للابتعاد عن الذكريات. دخلت غرفة الحمام ولاحظت أن جايسون نظف كل شيء بعد الحمام. راحت تغسل وجهها وتنظف اسنانها وتمشط شعرها. ثم عادت الى الغرفة.

كانت الرسالة التي بدأت تكتبها لعمتها جرترود، ما زالت في المكتب الصغير. جلست وراءه وبسرعة اخبرت عمتها عن الحادث الذي تعرض له والدها واضافت تقول انها ستوافيها بتفاصيل اخرى، فيما بعد. وضعت الرسالة في مغلف والصقت عليه الطوابع.

لم يبق امام ديانا سوى الاخلاد الى النوم. فتوجهت نحو السرير، لكنها شعرت انها غير قادرة ان تنام قربه وبينهما امور كثيرة معلقة. وما دام هناك عدم ثقة بينهما وما دام هو مستمر في الكذب ومصرّ على عدم ادخالها الى عالمه الحميم، الى افكاره واحاسيسه.

ابتعدت عن السرير قبل ان تغيّر رأيها. ووقع ظهرها على اريكة عريضة. فقررت ان تستلقي عليها لتنام هذه الليلة في انتظار ما قد يحدث غداً.

لكن هناك مشكلة الأغطية: فقد نام جايسون على غطاء السرير وفوقه البطانية الوحيدة الباقية. الحل الوحيد ان ترتدي مئزرها فوق قميص النوم وان تتدثر بمعطفها الصوفي الذي اشترته خصيصا لترتديه في الليالي الباردة.

ادارت الأريكة نحو النافذة تاركة الستائر الثقيلة مفتوحة. اطفأت النور وتمددت على المقعد ولما وجدت نفسها غير قادرة على النوم راحت

تحصي النجوم المتلألئة في الفضاء، في محاولة لالهاء نفسها عن التفكير بما حدث.

كل شيء هادىء وساكن. فقط صوت تنفس جايسون يعكّر الصمت داخل الغرفة. كم من مرّة بقيت مستيقظة، تسمعه يتنفس وتشعر بحرارة جسمه الدافئة.

لكن سرعان ما تنبهت الى خطورة افكارها فأزاحتها وحاولت تركيزها على والدها. قال جايسون ان جراحه ليست خطرة. كما ان الاطباء والممرضات يعتنون به داخل المستشفى. وهي عليها ان تثق بزوجها كما سبق ووثقت فيه عندما كانا يعيشان حياتهما الحميمة بعد الزواج وانطلقت افكارها واختلطت اضواء النجوم امام عينيها. وعادت بها الذاكرة الى الوراء، الى لقائها الاول بجايسون، اي منذ سنتين فقط.

٢ ـ مع الذكريات

تعرفت اليه في حفلة عشاء اقامها والد ديانا السيد كريستوفر فالي، على شرف شركائه وزبائنه. وكريستوفر يحب استقبال الناس ومنذ وفاة زوجته اثر حادث اليم، كانت ديانا تقوم بدور ربة المنزل. وكانت في السادسة من عمرها عندما توفيت والدتها.

وفي مناسبات كهذه، وبرغم خجلها، كانت الفتاة الشابة تحب ان ترتدي الثياب الأنيقة. كانت تدرس تصميم الازياء في كلية الفنون الجميلة في لندن، وكانت قد صممت بنفسها فستاناً جديداً خصيصاً لحفلة العشاء. كان لونه عنبرياً بلون عينيها. تفصيلته تظهر خطوط جسمها النحيف وبياض بشرتها، فتبدو اكبر سناً مما هي عليه. كان شعرها ذو اللمعان الذهبي يتساقط حتى كتفيها، مع غرّة على جبينها. وضعت حول عنقها سلسلة ذهبية تحمل حلقة من حجر الجاد، وهو حجر كريم، لونه اخضر. ووضعت في اذنيها حلقاً من الحجر نفسه. ومن دون ان تعرف كانت تبدو اكيدة من نفسها، متحفظة، مغرية ولكن صعبة المنال.

عند وصولها الى النادي حيث تقام حفلة العشاء، اختفت بضعة دقائق في غرفة الثياب المخصصة للنساء وذلك للتأكد من أناقة ملابسها وتسريحة شعرها. كانت تأمل ان تلتقي صديقتها اونيس فينتون وشقيقها بول الذي يعمل عند والدها. لكن ديانا لم ترَ اثراً

لصديقتها ذات الشعر الاسود الناعم والوجه البشوش. خرجت من غرفة الثياب ودخلت القاعة حيث تقام حفلة الاستقبال.

كان والدها يتحدث مع رجل طويل القامة في حوال الثلاثين من عمره. وكان شعره الاشقر يلمع تحت الأضواء الكهربائية، وتكاد كتفاه العريضتان ان تمزقا سترته السوداء. وكان وجهه اسمر وخداه مجوفين نحيلين.

ابتسم الرجل عندما اقتربت ديانا، فقال والدها:

«ابنتي الحبيبة اعرّفك الى جايسون كلارك. انه يعمل في شركة نفطية ويقوم حالياً بابحاث على الساحل الشمالي ـ الشرقي في انكلترا. كلارك، هذه ابنتي ديانا»

وضع يده في يدها النحيلة وهمس بصوته الجميل الفاتر:

« ديانا، الصيّادة! اذا لم تخني ذاكرتي».

اجابته ديانا بسرعة:

« و جايسون المسافر الكبير».

«حتى يجد ما يبحث عنه».

«من اين انت؟»

كانت ديانا ترتجف وعاجزة عن تحرير يدها من قبضة يده ومن نظراته. فأجابها:

«من كل مكان اجد نفسي فيه».

«لم اقصد ذلك. الظاهر انك لست من هذه البلاد. من اي بلد انت اذن؟»

«ترعرت ودرست في تكساس. هل انت راضية الآن؟»

في تلك اللحظة وصلت اونيس مع اخيها بول. كانا يعرفان جايسون من قبل، فانضما الى الحديث. وخلال السهرة كانت

ديانا تؤدي واجباتها كمضيفة، لكنها ظلّت تعي وجود جايسون الذي لفت انتباهها اكثر من سائر الضيوف.

بعد العشاء شعرت ديانا بيد توضع على ذراعها. فالتفتت الى الوراء ورأت جايسون قربها. فقال لها:

«ألست محظوظاً، هذه السهرة هي الاخيرة امضيها في العاصمة الانكليزية، لمدة يمكن ان تطول. هل من مكان يمكن ان نكون وحدنا فيه. اريد ان اقول لك شيئاً، في السر».

فوجئت ديانا وقالت بصوت منخفض:

«لا... اني لا أعرف أي مكان».

فك ربطة عنقه ووضعها في جيبه ثم حلّ ياقة قميصه. وأمام عيني ديانا المتلئتين هلعاً، راح يبتسم وكأنه يسخر من نفسه. ثم قال:

«لم أتعوّد أن أكون متنكراً هكذا».

«ولماذا جئت اذن؟»

«دعاني والدك الى هذه السهرة. ولبيت الدعوة لأنه يعجبني. لنتوقف عن الكلام الفارغ. وتعالي نتمشى قليلاً».

عرفت ديانا في الحال انها على وشك خسارة حريتها واستقلالها.

«دعني أخبر والدي بذلك...»

«سأتولى أنا الأمر. اذهبي وابحثي عن معطفك».

تنازلت عن فكرة المقاومة. وذهبت تبحث عن معطفها المخملي الأسود. وضعته على كتفيها وخرجت مع جايسون يتمشيان، يدها بيده. الى اين؟ كانت تجهل ذلك ولم يكن يهمها الأمر، فهي معه وهذا يكفي.

فجأة قطع جايسون حبل الصمت قائلاً:

«تأخرنا، وحان الوقت لأن اودعك. ولكن بعد ان اوصلك الى البيت».

اوقف جايسون سيارة تاكسي، التفت نحوها وسألها:

«هل منزلك بعيد؟»

وقبل ان يسمع الجواب، وضع يده حول كتفيها. فرفعت رأسها هامسة:

«حوال ربع الساعة».

عانقها طويلاً الى ان وصل التاكسي الى الشارع الذي تسكن فيه ديانا. فهمس:

«اريدك يا صيّادتي الصغيرة، اريد ان اتزوجك. هل هذا ممكن؟»

ومن دون وعي قالت:

«لكن لم نتعرف الى بعضنا إلاّ منذ قليل. وانا اعرف القليل عنك. كما اني لا احبك».

قال ساخراً:

«هل هذا صحيح؟»

ابتعد عنها وأضاف:

«اريد ان اتزوجك يا ديانا. هل تقبلين ان تكوني زوجتي؟»

ومن دون تردد اجابت:

«نعم»

وفي الحال شعرت بفرح عميق يجتاحها وفهمت انها وقعت في غرامه.

«سنتزوج بعد ثلاثة اسابيع، اي خلال زيارتي المقبلة الى لندن».

«نعم، لكن... انت غير جدي... سوف تنسى».

«اتعتقدين ذلك؟ معرفتك بي خاطئة. عندما اريد شيئاً، افعل المستحيل لأحصل عليه. سنتزوج اذن بعد ثلاثة اسابيع».

فتح باب السيارة ونزل منها. ثم ساعدها على النزول. وعلى الرصيف كان يمسك بها ويتفحص وجهها المرفوع صوبه. ثم قبّلها في

جبينها وقال:

«الى اللقاء القريب، يا ساحرتي الصغيرة. كوني جاهزة للوقت المحدد».

انتظر حتى فتحت باب المدخل وقبل ان تدخل الى البيت، تطلعت الى الوراء. اشار اليها بتحية قصيرة وصعد الى سيارة التاكسي. وظلت ديانا واقفة حتى اختفت السيارة عن الانظار.

في اليوم التالي، تناولت ديانا فطور الصباح مع والدها كالعادة. سألها:

«آمل ان يكون جايسون كلارك قد تصرف معك التصرف اللائق».

كانت ديانا تجهز لنفسها ساندويشاً من المربى. فلم ترد على سؤال والدها في الحال. وبعد ان انتهت من تحضير الساندويش، رفعت رأسها وراحت تتأمل وجه والدها. وقالت:

«يريد ان يتزوجني».

رفع كريستوفر فارلي حاجبيه، وقال:

«يا الهي! لماذا؟»

وكعادتها، وخاصة بعد وفاة والدتها، كانت ديانا تتحدث عن مشاكلها مع والدها. وغالباً ما كان يقدم لها النصائح التي كانت تعمل لها باخلاص. لكن، هذه المرّة بالذات، كانت تشعر برغبة في ان تحتفظ لنفسها بكل ما حدث معها تلك الليلة. قالت:

«اعتقد، اني اعجبه».

«يبدو لي انها طريقة مستعجلة للخوض في مغامرة الزواج. فهمت من طريقة حديثك انك موافقة على عرضه».

«نعم».

«ومتى ستتم حفلة الزواج؟ اعتقد انكما تنويان عقد زواج مدني،

أليس كذلك؟ لأني لا اعتقد ان جايسون من نوع الرجال الذين يخضعون للطقوس الدينية».

«قال اننا سنتزوج بعد ثلاثة اسابيع، بعد ان يعود الى لندن. يا ابي، هل عندك شيء ضد هذا الزواج؟ ارجوك ان تقول ما رأيك؟»

اجابها وهو يبتسم:

«رأيي لن يغيّر شيئاً، على ما اظن. وبما انه سيقوم بالمعاملات القانونية لاتمام هذا الزواج، فلا خوف عليك اذن. لكن هذا لا يمنعني من التفكير بأنك ما زلت غير مستعدة للزواج يا عزيزتي».

اجابت ديانا وهي مستعدة للدفاع عن نفسها:

«عمري واحد وعشرون عاماً».

«لم اكن افكر بعمرك، بل بنظرتك الى الحياة. لقد عشت حياة سهلة، وكلارك مغامر خطير، ولم يكن دائماً في المجتمعات الفضلى. اعتقد انك لست في مستواه ومن الصعب عليك ان تنسجمي معه. ربما بعد سنة او سنتين...»

«لا اعتقد ان في وسعنا ان ننتظر سنة...او اكثر».

ولاحظ والدها احمرار خديها فقال:

«هكذا اذن؟ ما عليّ إلاّ ان ابارك زواجك. هل تريدينني ان استعلم عنه؟ لقد قمت بأعمال للمؤسسة التي يعمل فيها حالياً. واعتقد انهم لن يمانعوا بتزويدي بالمعلومات اللازمة عنه».

«نعم، اريد منك ذلك، وارجوك، يا ابي. ألاّ تكلّم أحداً في هذا الموضوع... اعني ليس الآن. ربما... من الممكن ان...»

توقفت عن الكلام، فلم تكن تريد ان تظهر مخاوفها، او ان تبدو منها أية شكوك في حقيقة مشاعر جايسون نحوها.

«تخافين ألاّ يحقق جايسون ما وعدك به؟ يبدو انك غير واثقة منه

تماماً. وهذه ليست نقطة انطلاق حسنة، يا ابنتي».

«ليس هذا ما اعنيه. لكني لا أريد ان يعتبرني الجميع انانية حمقاء اذا لم يتم هذا الزواج. انت تفهم قصدي، أليس كذلك؟»

طوى والدها جريدته، وضعها تحت ابطه ونهض. ثم قال لها وهو يداعب خدها:

«اعتقد انك على حق. انت تحرصين على كبريائك. لا تخافي سأحتفظ بالسر. وما عليك إلاّ ان تطلعيني باستمرار على كل ما يتم معك».

لم تعش ديانا من قبل ثلاثة اسابيع بطيئة مثل هذه الاسابيع. ولّى شهر نيسان ـ أبريل وجاء شهر أيار ـ مايو. كانت الشمس ساطعة والهواء منعشاً. عبقت الحدائق بأزهار النرجس. براعم الكستنا بدأت تتفتح وبعضها يزهر اوراقاً صغيرة. العشب الذي يكسو أرض الحدائق يخضرّ وينمو. وفي معهد الفنون الجميلة حيث تتابع ديانا دروسها، أوشك الفصل على الانتهاء. يبقى فصل واحد وتحصل ديانا على شهادتها وتتخرج.

براً بوعوده، حصل كريستوفر فارلي على بعض المعلومات حول شخصية جايسون: رجل اعزب، في الثانية والثلاثين من عمره. درس في هيوستون وهو يعمل لدى الشركة نفسها منذ ان انهى دراسته الجامعية. كلها معلومات معروفة إلاّ واحدة تقول: جده والد امه يدعى وليم د. رامو وهو نائب رئيس الشركة نفسها.

قال لها كريستوفر:

«على الاقل، تعرفين الآن انه لم يكن متزوجاً، كما ان جده رجل ذو مكانة.».

لكن الشيء الوحيد الذي كان يهمها هو ان جايسون اخبرها الحقيقة. وهي الآن تعد الايام التي تمرّ. عشرون يوماً مضت حتى الآن.

وفي الغد سيكون هنا.

وفي اليوم التالي جاءت العمة جرترود فارلي لتمضية اسبوعين مع العائلة قبل سفرها الى اميركا لزيارة بعض الاصدقاء. انها امرأة طويلة القامة، ذات وجه بارز التقاطيع، لا يزال يحافظ على بعض من جماله. كانت راقصة في شبابها. في العادة كانت ديانا تفرح عندما تزورها عمتها التي تعيش في كورنويل، في غرب انكلترا، حيث تملك بيتاً قرب البحر، كانت تزوره ديانا في عطلة الصيف عندما كانت صغيرة السن. لكن، هذه المرّة، شعرت بأنها عاجزة عن استيعاب حكايات عمتها وقصصها الطريفة. لقد استولى جايسون على تفكيرها كله.

مضت ثلاثة اسابيع وخمسة أيام، من دون ورود خبر واحد من جايسون. لقد كذب عليها. وهو لم يكن ينوي ان يتزوجها. لا بدّ انه وجد امرأة غيرها، مستعدة ان تمنحه ما يريده، من دون ان يتزوجها.

قبل يومين من عيد الفصح، كانت ديانا تتناول فطور الصباح مع عمتها جرترود عندما سمعت جرس الباب. انه جايسون يحمل ازهار النرجس وعلى شفتيه ابتسامة عريضة.

«صباح الخير».

دخل من دون ان ينتظر منها ان تدعوه الى الدخول. وضع الورد بين ذراعيها وقبلها على وجنتيها وقال:

«اني اراهن انك كنت تعتقدين انني نسيتك؟»

كان يرتدي بذلة غير رسمية، كحلية اللون، فوق قميص زرقاء فاتحة. همست ديانا قائلة:

«نعم، تقريباً».

عانقها من جديد بينما كانت العمة جرترود تهمهم غير مصدقة ما

يجري امامها. ذلك ان ديانا لم تخبرها عن شيء. سألت العمة بلهجة
متعالية وهي تنظر الى ديانا:

«من انت، ايها الرجل؟»

اجابها بلطف:

« جايسون كلارك، سيدتي».

توجه صوب العمة، ومدّ يده ليصافحها قائلاً:

«انت من تكونين؟»

« جرترود فارلي، عمة ديانا».

وراح جايسون ينتقل في نظره بين ديانا وعمتها ويقول:

«اني الاحظ الشبه. واذا ظلت ديانا تشبهك عندما تصبح في عمرك، فلن اكون نادماً على اني اتخذتها زوجة لي».

وصرخت جرترود:

«زوجتك؟ هل تنويان الزواج فعلاً؟»

«نعم، بالطبع، واليوم بالذات، الساعة الثانية بعد الظهر. احتجت الى بعض الوقت لأدبر الامور. لم اكن اريد ان...»

التفت جايسون نحو ديانا وعيناه تبتسمان، وهمس قائلاً:

«لم اجرؤ أن أراك قبل ان أكون قد رتبت كل شيء».

«اليوم، بعد الظهر؟ لكني يا جايسون، لا أقدر...»

«بلى، بلى، الزواج سيكون بعد ظهر اليوم...»

وسألتها العمة:

« ديانا، لماذا لم تخبريني؟»

تدخل جايسون وقال:

«لأنها لم تكن متأكدة مني. لقد تأخرت خمسة أيام ولا بدّ أنها فكرت اني لم أكن صادقاً».

«هل والدك على علم يا ديانا؟»

«نعم. اخبرته، في اليوم نفسه، عندما عرض عليّ جايسون الزواج».

«ومنذ متى يعرف احدكما الآخر؟»

اجاب جايسون وهو يغمز ديانا:

«منذ سنوات، لكن التقينا فقط منذ أربعة أسابيع، آمل ان تحضري حفلة زواجنا، ايتها العمة جرترود».

«اني... آه...»

شعرت أنها عاجزة عن الكلام. لكن سرعان ما استعادت شجاعتها لتقول بلهجة قاسية:

«اعتقد انك مجنون حقاً لتقرر الزواج بهذه السرعة».

«هذا معقول جداً. عاجلا ام آجلاً يصبح الانسان مجنوناً بسبب الحب».

«يجب ان تعلم ان ديانا ليست مستعدة للزواج. فهي ما زالت صغيرة وساذجة. لا تعرف ما معنى الحب. وهي تحتاج الى مزيد من التجارب».

وفوجئت ديانا عندما رأت جايسون يهز رأسه قائلاً برصانة:

«اني اقدر مدى اهتمامك. لكن لا تخافي سأغازلها بعد الزواج».

تفرست العمة جرترود بشيء من المودة وقالت:

«اذن، سأحضر زواجكما بعد الظهر. هل ستقومان برحلة شهر العسل؟»

«لم افكر في هذا الامر، لأن الوقت لم يسمح».

«لماذا لا تذهبان اذن الى كورنويل حيث يمكنكما ان تسكنا في منزلي خلال غيابي».

«لكن، يا عمتي، جايسون...»

شعرت ديانا بذعر مفاجىء. فالتفت جايسون نحوها قائلاً:

«الا تريدين اذن ان تتزوجيني؟»

رأت ديانا عيني جايسون الزرقاوين يلمعان بالرغبة، فهمست بعد ان استعادت وعيها:

«نعم».

«اذن، كل ما عليك فعله، هو ان تضعي يدك بيدي، اليوم بعد الظهر، ونذهب معاً الى مكتب الزواج ونعقد قراننا».

كان شهر العسل حلماً تحقق بالنسبة الى ديانا. كان الطقس جميلاً ودافئاً، مما اتاح لهما قضاء معظم الوقت خارج المنزل. راحا يتنزهان على طول الشاطئ او يتسلقان الشواطىء الصخرية حيث ينبت العشب الأخضر. كانا يركضان ثم يسقطان ارضاً، وهما يضحكان ويلهثان فرحاً.

بعد اسبوع، تبيّن لديانا انها تعرف عن جايسون أقل مما هو يعرفه عنها. كانت هي دائماً التي تتكلم. وعندما كان يأتي دوره، كان يفضل العناق على الكلمات، وهي منغمسة في حبها، كانت تنسى ما سألته. وتبقى الاسئلة من دون جواب.

قالت له يوماً عندما كانا ممددين على العشب يأخذان حمام شمس:

«لا بدّ ان لك اهلاً مقرّبين».

اجابها بكسل:

«هل هذا ضروري؟»

«كل انسان له أب وأم وأخ...»

«نعم، كان لي أب انكليزي ولد في منطقة لانكشاير. كما ان لي ابناء عمومة، هناك، في الشمال».

بقيت ديانا جامدة لا تتحرك، واضعة يديها على ذقنها. كانت تحبس انفاسها. فقد قرر اخيراً ان يحدثها عن عائلته. استأنف جايسون الكلام وقال:

«توفي والدي في السهل الاكوادوري. كان عالماً في الفيزياء، متخصصاً في الاراضي. وكان ينقب عن البترول للشركة التي اعمل فيها الآن. وهناك تعرف الى والدتي. كانت تقوم بزيارة للبلاد. وكان لوالدها مركز مهمّ في الشركة نفسها. احبها والدي وتزوجا في كيتو وعاشا هناك فترة من الزمن. وأنا ولدت في الاكوادور. ولهذا السبب، عندما سألتني من اي بلاد أنا، لم أعرف بماذا اجيب. كان والدي انكليزياً وامي اميركية وانا اكوادوري بالولادة».

«كم بقيت في الأكوادور؟»

«الى ان اصبح عمري ثماني سنوات. ثم قررت والدتي، التي كانت تشرف على تربيتي ان تدخلني المدرسة في هيوستن. ولذلك انتقلت وظيفة والدي الى هيوستن. لكنه لم يكن قادراً على الثبات في مكان واحد. كلما سنحت له الفرصة كان يذهب للتنقيب في بلاد أخرى. وفي احدى المرّات، عاد الى الاكوادور ليشرف على الحفريات هناك، وقد قتل في حادث حريق اصاب احد المناجم النفطية».

«وكم كان عمرك حينئذ؟»

«١٢ سنة... وتوفيت والدتي بعد سنتين، بمرض السرطان».

«ومن اهتم بك بعد ذلك، اجدادك؟»

«كلا. سكنت عند بيل ، شقيق والدتي. هو الآن نائب رئيس الشركة التي اعمل فيها. لم اكن سهلاً وخاصة عندما كنت في سن المراهقة. وعندما قررت ان اغادر المدرسة لكي التحق بالعمل في مؤسسة بترولية، تنفس خالي الصعداء.

اني اشبه والدي: لا اثبت في مكان واحد».

وضعت ديانا رأسها على كتف جايسون، وشعرت بسعادة غامرة بقرب هذا الرجل المتشرد الذي قرر التخلي عن حريته ليتزوجها.

قال جايسون بهدوء:

«يجب ان نعود غداً».

«لماذا؟»

استدار نحوها، وقال:

«يجب ان اعود الى عملي، في الشمال».

لم تتوقع ديانا أبداً ماذا سيحدث بعد نهاية شهر العسل. كانت تظن انهما سيستقران في احدى ضواحي لندن، كغيرهما من المتزوجين، ولم تتوقع أبداً، ان تجد نفسها وحيدة بهذه السرعة.

«هل يمكنني مرافقتك؟»

اجابها بلهجة حازمة:

«كلا».

«لماذا؟»

«لأن ذلك مستحيل».

«لكن، ماذا عليّ ان أفعل؟»

«ما كنت تفعلينه قبل زواجنا. استمري في القيام بأعمالك الخاصة التي ليس لها علاقة بنا. استأنفي الذهاب الى الجامعة واحصلي على شهادتك. ثم ابحثي عن العمل الذي تحبينه والذي حدثتني عنه مرّة. ان زواجك مني لا يمنعك من ان تفعلي ما تحبين...»

«لكن، يا جايسون، اريد ان أكون حيثما تكون أنت. أريد ان أكون في انتظارك كل مساء، عندما تعود من العمل. وليس فقط مرّة كل ثلاثة أسابيع».

شعر جايسون بشيء ما في داخله انعكس في عينيه. راح يداعب وجنتي ديانا، ثم شعرها، بنعومة فائقة. وهمس قائلاً:

«انت انسانة لطيفة. لكن لا أستطيع ان آخذك معي الى منطقة

التنقيب عن النفط خصوصاً الذي اعمل فيه الآن، انه في وسط البحر».

«يمكنني ان ابقى على الساحل. اني اعرف فتاة متزوجة من عامل حفريات، وهما يسكنان في منزل في بيترهيد، القريب من عملك».

«كلا، لن ابقى هناك مدة طويلة. فلا داعي لأن تتركي مدرستك من أجل هذا. عليك ان تبقي هنا في لندن وتعثري على شقة، وسأوافيك الى هناك كلما سنحت لي الظروف».

خاب أمل ديانا. البحث عن شقة ليس سهلاً. ثم انها لا تعرف كيف تفرشها وهي التي تجهل تماماً اي نوع من الاثاث يحب.

«آه، يا جايسون، لا اريدك ان تذهب. ألا يمكنك الحصول على عمل في مكان ثابت؟»

نهض جايسون فجأة ودار لها ظهره وقال:

«ليس الآن. لأنني لست مستعداً لذلك. قد يحصل ذلك يوماً. ولكن ليس في هذه البلاد... لا تحاولي احتجازي، ايتها الصيّادة، فلن تنجحي».

صرخت جين في كآبة:

«لماذا تزوجتني اذن، اذا كنت لا تريد ان تبقى معي».

ادار وجهه وحدّق بها. ثم انحنى صوبها وشعرت به يلتصق بها وسمعته يهمس قائلاً:

«انت تعرفين لماذا، على ما اعتقد، لم يكن بوسعي ان أفعل شيئاً آخر».

كان صدى كلمات زوجها ولمسات يده على شعرها ورائحة جلده، كلها تتفاعل في داخلها. هي أيضاً لم يكن في وسعها ان تفعل شيئاً آخر.

في اليوم التالي، عادا الى لندن وامضيا الليلة في منزل والدها. وفي الصباح التالي، سافر جايسون الى شمال انكلترا وبدأت

ديانا تبحث عن شقة تستأجرها.

وبمساعدة صديقتها اونيس، استأجرت شقة صغيرة في الطابق الثاني من بناية قديمة تطل على نهر التايمس. وكانت ديانا مدينة لصديقتها على هذه المساعدة برغم معرفتها ان اونيس وبول ازعجهما زواجها المفاجىء، فلم يعلقا عليه ولم يهنئاها أيضا.

كتبت ديانا رسالة الى جايسون ابلغته فيها عنوان الشقة ثم راحت تهتم بشراء المفروشات اللازمة لفرشها. وخلال اسبوعين، كانت قد اشترت سريراً عريضاً وخزانتين، وطاولة وكرسيين ووسادات عدة وضعتها في قاعة الاستقبال.

وفي احد الأيام، كانت عائدة من الجامعة، دخلت الى غرفة النوم ففوجئت بجايسون نائماً في السرير. استيقظ لدى سماعه خطواتها وصرختها، وتعانقا بحرارة. بقي جايسون مع ديانا ثمانية أيام، ثم سافر الى الشمال عائداً الى عمله. وخلال الأشهر التالية، كانا يفترقان لمدة اسبوعين أو ثلاثة، ليلتقيا أسبوعاً واحداً. ولما كان يذهب كانت ديانا تشعر بالملل، لكنها سرعان ما كانت تستأنف حياتها العادية، في الجامعة، لنيل الشهادة المطلوبة، وفي العمل في مؤسسة صغيرة كرسامة تبتكر النماذج لأزياء الثياب النسائية. كل ذلك يساعدها على تحمل العيش وحدها حتى عودة جايسون.

وكلما كانا يلتقيان، يشعران بسعادة كبرى ولم يتشاجرا إلاّ نادراً جداً. وخلال اقامته في لندن، كانت ديانا تتعرف الى جايسون أكثر فأكثر. كان يحب الموسيقى الرقيقة ويحب حضور الحفلات الموسيقية الكلاسيكية التي تقام في الصالات الكبرى في لندن. كان يحب الاستفادة من امواله ويصرف من دون حساب، ويشتري الأثاث الثمين ليزيّن شقته، كما كان يغدق على ديانا الهدايا الفاخرة.

وعندما تكون ديانا وحيدة، كانت تمضي معظم وقتها مع صديقتها اونيس التي كانت تسكن في جوارها. وغالباً ما يكون شقيقها بول موجوداً معهما. لكن عندما يعود جايسون، تعدل ديانا عن رؤية احد. فقط تقوم بزيارة لوالدها بطلب من جايسون نفسه.

في احد الأيام، بعد ان سافر جايسون، سألتها اونيس قائلة:
«ألا تسألين ابداً ماذا يفعل جايسون عندما يكون بعيداً عنك؟»

«يمضي الوقت في عمله».

«ليس هذا ما أريد ان أقوله. اقصد عندما لا يعمل، أي في وقت الفراغ. مثلاً في عطلة نهاية الاسبوع، عندما لا يكون قادراً على المجيء الى لندن. ماذا يفعل، يا ترى؟»

اجابتها ديانا بلهجة خفيفة:

«انه ينتظر ان يراني بفارغ صبر».

عند عودته وجد جايسون زوجته ديانا متغيرة، تريد امتلاكه. قال لها:

«لا تكوني مثل النساء اللواتي يحببن إمتلاك ازواجهن، ايتها الصيّادة، وإلاّ فلن أعود إليك في المرّة المقبلة».

وأمضت ديانا الأسابيع التالية وهي تتساءل ما اذا كان جايسون سينفذ ما هددها به. ولكي ترفع من معنوياتها دعتها اونيس الى العشاء وقالت لها:

«زوجك يفعل كل ما يريد، أليس كذلك؟ انه يتمتع بك كزوجة ولا يتحمل أي مسؤولية. وأنت تدعينه يفعل ما يريد من دون اعتراض!»

أجابتها ديانا:

«ليس بذلك المنظار نرى الاشياء ونحكم عليها. لماذا انت وبول لا تحبانه؟»

«وما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟»

«موقفكما منه».

«ما دمت تريدين الحقيقة، أقول لك انني لا أعتقد انه الزوج المناسب. ومن جهة ثانية، ان شقيقي بول انسان تعس وحزين، وذلك بسببه هو».

«لماذا؟ انني لا أفهم».

اجابتها اونيس محتدة:

«الم تلاحظي ان بول وقع في غرامك منذ اللقاء الأول بينكما. وأنه كان يأمل ان يتزوجك يوماً؟ هل تصوّرت لحظة واحدة ما كانت ردة فعله عندما قررت الزواج من هذا الرجل المغامر؟»

«ليس جايسون بانسان مغامر. لماذا تقولين ذلك عنه؟»

«لأن كل رجل مغامر، يجذب النساء!»

اجابتها ديانا في توتر:

«لكني زوجته، والمرأة الوحيدة التي يحبها».

«كيف تكونين في مثل هذه السذاجة؟»

«أنت... تريدين ان تقولي ان جايسون... كيف تتجرأين ان تقولي هكذا عنه! اني أعرفه جيداً، فهو ليس كما تتوهمين».

اجابتها اونيس

«يبدو انك لا تعرفينه جيداً. انت ما زلت متأثرة بسحره ولم تفكري يوماً ان تسأليه لماذا يتأخر احياناً ليعود الى لندن...».

اجابتها ديانا في غضب شديد:

« اونيس، اذا كنت تريدين ان تبقي صديقة لي، فأرجوك الا تضيفي

شيئاً.اني اثق بجايسون تمام الثقة واني متأكدة من انه الزوج الذي لا يخون زوجته».

«في هذه الحال، واسفاه عليك».

غيّرت اونيس فجأة لهجتها واقتربت من ديانا واضافت في صوت ناعم:

«الا ترين اني أقول ما أقوله من أجل سعادتك؟ أنا أريد أن تكوني انسانة سعيدة؟ لو انك اطلعتني على نيّتك الزواج منه، لكنت نبهتك وأخبرتك عن حقيقته، انه انسان من دون قلب ولا عاطفة، رجل وقح، «دون جوان» حقير...»

وفجأة، تهدج صوت اونيس. ووضعت رأسها بين يديها. ونظرت ديانا اليها وتذكرت ان اونيس التقت جايسون قبلها. ربما هي أيضا وقعت تحت سحره، وربما... لكنها رفضت ان تعتمد مسبقاً على العلاقات التي يمكن ان تكون قد حدثت بين اونيس وزوجها.

اجابتها ديانا ببرود:

«اشكرك لأنك تحذيرينني الآن، يا اونيس».

شعرت ديانا بالدم يتجمد في عروقها. وقررت ان تغيّر الحديث.

«متى ستذهبين الى باريس؟ هذا لطف من مديرك انه قرر ان يعهد اليك بمهمة رئيسية».

رفعت اونيس رأسها وابتسمت. ثم اخذت يد ديانا وشدت عليها وقالت:

«انت انسانة رائعة، يا ديانا. لكنك سريعة العطب. لا أريد ان أراك تتألمين. اني ذاهبة الى باريس في الغد. وسأتصل بك حالما أعود».

بعد مضي أسبوع، عاد جايسون الى لندن. كان من المنتظر ان يعود قبل ثلاثة أيام. وكان صامتاً ومتعباً. وكالعادة، فرحت ديانا

لدى رؤيته ولم تطرح عليه اي سؤال. كان يكفي ان يأخذها بين ذراعيه لتنسى كل الشكوك التي كانت اونيس تحرضها عليها.

وفي الغد، رنّ جرس التليفون. فاستيقظت ديانا من نومها. لكن جايسون كان ينام بعمق فلم يسمعه. نهضت ديانا من سريرها ووضعت عليها مئزرها المطرز الذي قدمه اليها جايسون وخرجت من الغرفة لترد على الهاتف الموجود في البهو.

«صباح الخير، يا عزيزتي، اونيس تتكلم معك. لقد عدت من باريس البارحة. اتريدين ان تأتي بعد الظهر لزيارتي وتناول الشاي معي؟ وسأخبرك عن سفري. وكذلك سيأتي بول بعد العمل».

«لا يمكنني أن أزورك اليوم، يا اونيس. فقد عاد جايسون البارحة».

«صحيح، هل أخبرك عن مغامرته الخاطفة في باريس؟»

« باريس »

قطبت ديانا حاجبيها والقت نظرة على حقيبة جايسون ورأت بطاقة كتب عليها :الخطوط الجوية الفرنسية.

واستطردت اونيس تقول:

«نعم، لقد رأيته في المطار، كانت ترافقه فتاة شابة جميلة وشقراء. كانت متعلقة بذراعه وقبلته قبل ان يودعها ويأخذ الطائرة».

اجابتها ديانا وهي ترتجف:

«لا بد انك اخطأت يا اونيس. ربما شاهدت رجلاً يشبهه».

«اتعتقدين فعلاً اني مخطئة يا ديانا؟ انت تعرفين ان لا أحد يمكنه أن يشبه جايسون؟»

اجابت ديانا وهي تحاول ان تمزح:

«ان لكل انسان على الارض آخر يشبهه».

«كلا، كلا، ان الرجل الذي شاهدته في مطار باريس هو جايسون بالذات: حسن المنظر، طويل القامة... تعالي معه اليوم بعد الظهر لزيارتي. وأناسأقول له وجهاً لوجه اني رأيته. وسيسرني أن أرى ردة فعله».

«أشكرك، يا اونيس، أنا سأكلمه بدوري، الى اللقاء».

وضعت ديانا سماعة الهاتف بهدوء. ثم رأت جايسون واقفاً أمام باب غرفة النوم ومنشفة الحمام حول خصره وشعره مشعث وعيناه نصف مغمضتين. سألها:

«من كان يكلمك في الهاتف؟»

« اونيس ، فهي تدعونا الى تناول الشاي في منزلها اليوم بعد الظهر».

اجابها بلهجة ساخرة:

«لا يمكنني ان اذهب، لم يبق لي هنا في لندن سوى ساعات قليلة، وما زالت هناك أمور كثيرة أريد ان اطلعك عليها».

قاطعته بحدة:

«لو لم تمض وقتاً لا بأس به في باريس، لكان عندك الوقت الكافي لتبقى معي وقتاً أطول، لماذا ذهبت الى باريس؟»

«لأشتري لك هذا المئزر المطرز وأجلب لك بعض العطورات الفرنسية. ولم يسمح لي الوقت بأن اقدمها لك أمس».

راح يفتش في حقيبته ويرمي ملابسه القذرة على الأرض.

فصرخت ديانا:

«أتنتظر مني أن أصدق ما تقول؟ لم تذهب الى باريس إلاّ لشراء بعض الهدايا لي!»

نظر جايسون اليها في برود وقال لها من دون اي اضطراب:

«كانت هناك أيضا بعض الأعمال التي كنت مضطراً ان أقوم بها».

التقط علبة مليئة بالعطور وقال لها:

«خذي، هذه لك، هذا ما تحلم به كل امرأة».

رأت ديانا الهدية المغلفة بالورق الثمين والمزينة بالشرائط المذهبة وعليها اسم مشهور في عالم العطور. لا بدّ ان تكون هذه الهدية كلفته الكثير من المال، كبقية الهدايا.

قالت له:

«لا اريدها، ومن الآن فصاعداً لن تشتري سكوتي بالهدايا».

رأت وجهه يشحب وهو يعض على شفتيه من الغضب. رمى بالعلبة أرضاً كما لو انها ممسحة قديمة. ثم اقترب منها وقال في هدوء:

«ماذا هناك، يا حبيبتي؟»

«اني...اني لا أصدق انك تقول لي الحقيقة. اني اعتقد انك ذهبت الى باريس لرؤية... امرأة اخرى».

اجابها والسخرية تملأ صوته:

«أما زلت غيورة؟»

وضع جايسون يده حول خصر ديانا وراح يلامس خدها بفمه. احست ديانا بالاشمئزاز وابتعدت عنه صارخة:

«لا تلمسني، فأنا لا احتمل ذلك!»

اجابها بجفاف:

«هذا لم يكن يزعجك البارحة مساء. ماذا جرى حتى تبدلت؟»

القى نظرة على الهاتف وفجأة فهم كل شيء:

«لست في حاجة الى ان تقولي لي ما حدث. انها هذه المرأة ال...»

توقف عن الكلام وتفرس في ديانا ثم عاد يقول:

«اخبرتك لماذا ذهبت الى باريس. لماذا لا تصدقينني؟ الا تثقين بي؟»

همست ديانا قائلة:

«كلا. يا جايسون ، لم اعد اثق بك بعد الآن».

ادار وجهه فجأة، ودخل الحمام وصفق الباب خلفه.

تكومت ديانا في الكنبة، حزينة حتى الموت. فهي لا تصدق ما حدث الآن. لقد كذب عليها جايسون وهو ينتظر منها ان تصدقه وألاّ تشك بكلامه.

القت نظرة على أرض الصالة، فوجدت الثياب القذرة. وكأنسان آلي راحت تلملمها. واذا بورقة صغيرة تقع من احد جيوب القميص. التقطتها بغية رميها، لكن لم تستطع ان تمنع نفسها من قراءة ما تحتويه:

« جايسون، اتوسل اليك، ان تأتي الى باريس. فانا في حاجة الى مساعدة. اني أمرّ في مأزق صعب. اذا كان لك قلب، فارجوك ان تأتي الى باريس بأسرع ما يمكن على العنوان الآتي ذكره أعلاه. كنت تقول لي انك تأتي لزيارتي اذا طلبت منك ذلك. وكنت تقول: اينما كنت وفي أي وقت. اذاً، حان الوقت لأن تساعدني. انت الوحيد الذي يمكن ان يساعدني الآن. ارجوك ان تأتي. اقبلك، كارول»

رمت ديانا بالورقة التي راحت تتطاير قبل ان تسقط الى الأرض. والقت بالقمصان كما لو كانت مليئة بالجراثيم. لم يعد هناك أي شك: ذهب جايسون الى باريس بناء على طلب امرأة تدعى كارول.

ذهبت الى المطبخ وراحت تحضر فطور الصباح، محاولة ان تنسى احزانها، بانهماكها بعمل ما. مدت الطاولة واعدت القهوة والبيض المسلوق.

دخل جايسون وجلس في كرسيه بدون ان ينطق بكلمة واحدة. ولاحظت ديانا انه ما زال يجهل كيف يعقد ربطة عنقه كما يجب.

سيطرت الغيرة على مشاعر ديانا، ولم يكن في وسعها ان تتحمل

مجرد التفكير بأن امرأة اخرى كانت معه. فقالت:

« جايسون، اني مصرّة على ان تخبرني كل الحقيقة. لماذا ذهبت الى باريس؟»

«قلت لك الحقيقة. كنت احلّ بعض المشاكل العائلية».

«اذا كانت المشاكل عائلية، فلست ارى ما الذي يمنعك من ان تحدثني عنها. لا تنسى اني زوجتك».

«اني آسف، لا يمكنني ان احدثك عنها».

«ولماذا؟»

«لأنك لن تفهمي ما سأقوله. انك انسانة متزمتة تصدرين احكاماً جائرة على الآخرين».

قالت وهي على وشك البكاء:

«هل حقاً تفكر بي هكذا؟»

«أليس تصرّفك هذا برهاناً قاطعاً؟»

كانت تريد ان تسأله من تكون تلك الفتاة التي تدعى كارول لكنها ادركت انها لو ارتكبت هذا الخطأ، فسيعرف انها قرأت الرسالة وسيتهمها بالتجسس عليه.

«شاهدتك اونيس في مطار باريس. وقالت لي انك كنت مع فتاة شقراء، كانت تقبلك...»

«لقد عرفت ان اونيس وراء كل هذا».

«انها صديقتي. اني اعرفها من زمان وقبل ان اتعرف اليك بكثير».

«صحيح، ولذلك تصدقين كل ما تقوله. وكل ما أقوله أنا، هو كذب».

انحنى امامها وقال بهدوء:

«اسمعيني يا حبيبتي، ان زواجنا يجب ان يقوم على الثقة المتبادلة وإلاّ، فليس علينا إلاّ ان نفترق حالاً. هل تريدين ان نفترق؟»

لم تعد تعرف ما تجيب. منذ اشهر مضت، كانت مكتفية بوجوده وحبه. أما الآن فان هذه الاشياء لم تعد كافية بالنسبة اليها.

انهى جايسون طعامه ونهض. ونظرت ديانا اليه ورأته ينظر اليها ثم يقول:

«الظاهر ان ليس لديك جواب. اما انا، فليس في نيتي ان افتش على برهان اثبت به براءتي. يمكنك ان تصدقي ما تريدينه!»

نهض وتوجه نحو الغرفة وراح يوضب حقائبه.

سألته ديانا بصوت مرتجف:

«الى اين انت ذاهب؟»

«الى هيوستن. دعتني الشركة لتبحث معي في نقلي الى مكان آخر. كان في نيتي ان اصطحبك معي، لكن على ما اعتقد، تفضلين البقاء هنا، لتتناولي الشاي مع صديقتك اونيس واخيها بول، هذا الخبيث!»

« بول ليس خبيثاً!»

«صحيح؟ ليس لدي الوقت ولا الرغبة في ان نناقش ذلك».

قالت ديانا وهي تشعر انه لن يغيّر نظرته اليها:

«جايسون، ليس في وسعك الذهاب هكذا».

«اتعتقدين ذلك؟ ومن الذي سيردعني عن الذهاب؟»

فتح الباب وحمل حقائبه ونظر اليها وقال:

«عمتك جرترود كانت على حق. انت لا تعرفين ما معنى الحب، حتى الآن، وعلى الأقل».

« جايسون... اني...»

كانت على وشك الاعتذار، وان تطلب منه ان يسامحها.

لكنه اقفل الباب بسرعة.

بقيت ديانا مذعورة ومضطربة. تريد ان تفتح الباب وتناديه. لكنها لم تكن قادرة على ذلك.

ومثل انسان منوّم مغناطيسياً، توجهت نحو غرفة النوم. ومن النافذة رأته يشير الى سيّارة تاكسي. ثم يصعد في المقعد الخلفي ويختفي عن الأنظار.

استدارت ووجدت خزانة الثياب مفتوحة ومحتويات الجوارير فارغة. لقد اخذ جايسون كل اغراضه. وهذا يعني انه لن يعود.

جلست ديانا امام المرآة وعيناها ممتلئتان بالدموع. واذا بها ترى العلبة التي جاء بها من باريس هدية اليها.

وضعت وجهها بين يديها وراحت تجهش بالبكاء.

وشعرت بقلبها يتمزق!

٣ ـ الدوامة

«ديانا!»

كان صوت جايسون الذي استيقظ، قد ايقظها من تأملاتها واعادها الى الواقع، الى غرفتها في الفندق، الى البرد الذي يعم الغرفة والى حيرتها التي لا تنتهي.

سألها:

«ماذا تفعلين؟»

وبالكاد كانت تميزه في العتمة. فجأة شعرت بالتوتر، وقالت:

«اني... اني اعدّ النجوم»

«هذا عمل شاق لا ينتهي، ان عدد النجوم لا نهائي».

فوجئت ديانا، لقد صدقها، اذ لم تكن هناك سخرية في صوته. اضاف هامساً:

«البرد قارس! لماذا لا تدخلين الى النوم هنا في السرير؟»

اجابته وهي تحاول التغلب على قشعريرة البرد التي تجتاح جسمها:

«انني مرتاحة حيث أنا شكراً».

قال وهو يخنق ضحكة صغيرة:

«لا خطر عليك اذا كنت قربي. أنا مرهق ولن اقوم بأي عمل فيه اجهاد».

كانت تعرف جيداً ماذا يعني. وفهمت ان جايسون لم يعد يرغب

فيها. لم تعد تلك المرأة التي احبها التي كانت تعني له اشياء كثيرة.

لماذا عليها ان تعاني من هذا الوضع؟ فهي تعرف جيداً انه لم يعد يريدها، وقاست من العذاب ما يكفي بعد ما غادر لندن منذ خمسة عشر شهراً، الى هيوستن، كانت تنتظره آملة ان يعود. وبعد مضي شهر بكامله لم تسمع عنه شيئاً، فاقتنعت بأنه لن يعود.

ومرة سألت والدها اذا كان يعرف شيئاً عن جايسون وعن مكان وجوده. فقال والدها وهو يلقي اليها نظرة باردة:

«لماذا تطرحين هذا السؤال؟»

«منذ اكثر من شهر لم اسمع عنه شيئاً. وبدأت اخشى ان يكون قد وقع له حادث ما».

ثم انفجرت باكية وهي تقول:

«آه، يا أبي، تشاجرنا في لقائنا الأخير، فغضب ورحل. والآن بدأت اعتقد باني ربما خسرته الى الأبد!»

«اني افهم الآن. هناك وسيلة واحدة لمعرفة الحقيقة. ليس عليك الا ان تكتبي له رسالة، وابعثي بها الى عنوان شركته، التي ستوصلها اليه بالتأكيد. اني متأكد من انه يملك السبب الحقيقي لصمته».

عادت الى منزلها وبدأت تكتب الرسالة. وكانت تجد صعوبة كبرى في اختيار الكلمات، كانها تكتب لرجل غريب. وبرغم كون العلاقة بينهما حميمة، اكتشفت ديانا انهما لم يعرف احدهما الآخر كفاية. فلم تستطع ان تكتب له الا عن الامور السطحية من دون ان تذكر شيئاً عن العذاب الذي تعاني منه من جراء رحيله.

الحياة تستمرّ والايام اصبحت أسابيع والأسابيع شهوراً. وديانا لم تتسلم جواباً على رسالتها. لم تستطع ان تكتب اليه رسالة اخرى.

كانت تخبر صديقتها اونيس بما تشعر به وهي في قبضة الانتظار، فراحت تحاول اقناعها ان زواجها من جايسون كان خطأً عليها ان تنساه وتبدأ حياة جديدة.

قالت اونيس:

«نال من هذا الزواج ما كان يريد. وعندما قلت له انك ترفضين وقاحته، انتهزها فرصة ليتخلى عنك. وهو كان ينتظر فرصة كهذه، لأنه لم يعد يرغب فيك. لو كنت مكانك، لطلبت الطلاق. في أي حال، لن يعود اليك أبداً».

لكن ديانا كانت تقاوم طويلاً فكرة الطلاق. وفي احدى الليالي، بعد سهرة امضتها مع اونيس و وبول، قام هذا الأخير بتوصيلها حتى باب منزلها. وهناك حاول ان يقبلها. لكنها صدته واذا به يصرخ بصوت غاضب:

«لم اعد قادراً على الانتظار أكثر من هذا».

«أسفة يا بول. لا تظن انني اتجاهل صداقتك. لكن جايسون ما زال زوجي، و...»

«أعرف ذلك جيداً. لكن حان الوقت ان تتخذي موقفاً من هذا الموضوع».

«هل تعني ان عليّ ان اطلقه».

«نعم. وهذا يجعلني أكثر من صديق لك. انه يتيح لي ان اتزوجك».

«لكن عليّ ان اتصل بجايسون قبل ذلك. لا يمكنني ان احصل على الطلاق من دون ان اكلمه، أو أراه. انني لا أعرف أين هو».

«ليس من الضروري ان تريه او تحدثيه. ما عليك إلاّ تسليمُ القضية الى محام لامع، يمكنه ان يرتب الأمور بسهولة».

«شكراً لنصيحتك هذه، وربما هذا ما سأفعله. سأستشير احد المحامين،

وسأعلمك بالأمر في حينه».

لكنها لم تستشر أي محام. لقد فضلت ان تطلب النصيحة من والدها، الذي سألها ببرود:

«ولماذا تريدين ان تتصلي بجايسون هذه المرة. في المرّة الأخيرة، لم يحالفك الحظ».

اجابته قائلة:

« بول يريد ان يتزوجني».

«وانت؟ اتريدين الزواج من بول ؟»

«لا أعرف، اني احترمه، انه لطيف جداً معي، لكنني خائفة من ارتكاب غلطة أخرى».

سألها كريستوفر في حدة:

«هل تعتقدين ان زواجك من جايسون غلطة».

اجابته من دون تردد:

«كلا، آه، لا أعرف. لم نتزوج الاّ من وقت قصير. ونادراً ما رأيته وبالكاد اعرفه! يا ابي، ارجوك ان تقول لي: ماذا افعل؟»

«بصراحة، يا عزيزتي، اعتقد انك في حاجة الى اجازة. يجب ان تغادري شقتك، لتذهبي الى مكان مختلف تماماً، حيث لا تعرفين احداً. اعتقد انه يمكنك ان تطلبي اجازة من عملك».

«نعم، لديّ اسبوعان من اجازتي. لكنني كنت انوي ان امضيها في اليونان، مع اونيس».

قطب كريستوفر حاجبيه وتابع يقول بصوت هادئ:

«لا اعتقد ان سفرك مع اونيس الى اليونان هو الحلّ الجيد. فهي شقيقة بول وغالباً ما تراه. وستجدين صعوبة في اتخاذ قرار عادل.

حسب رأيي، من الأفضل ان تأتي معي الى اميركا الجنوبية بعد اسبوع من الآن. سأذهب أولاً الى فنزويلا، ثم الى الاكوادور وبعدها الى البيرو، اذا سمح لي الوقت بذلك. انها رحلة عمل واستجمام في الوقت نفسه. هل تعجبك فكرة مرافقتي، كما في الماضي؟»

قبلت ديانا عرض والدها واحست بالارتياح. وها هي الآن في كيتو، ووالدها مصاب في قلب الادغال، وزوجها نائم في سريرها.

نهضت ديانا. احست بالبرد يخترقها. وشعرت بحاجة الى دخول السرير، ووضع غطاء فوق جسمها البارد.

كان جايسون نائماً. وهو لن يشعر بها اذا اندست في السرير. الم يطمئنها انه لن يحاول ايذاءها أو حتى لمسها؟

رفعت زاوية الغطاء، وتمددت في الجهة الفارغة من السرير ورمت الغطاء فوقها واحست بالراحة والحرارة. مدت قدميها وتركت اطرافها تسترخي.

بعد ذلك بقليل تحرك الغطاء فجأة. فتحت ديانا عينيها. كان جايسون يتحرك في السرير واذا بذراع ثقيلة جامدة تقع على جسمها وتسمرها في السرير.

راح قلب ديانا يخفق مثل عصفور سجين. ولم تحاول القيام بأي حركة، لقد يرحها النعاس، كانت خائفة ان يستيقظ زوجها.

وبالرغم منها، سعلت. تحركت يد جايسون الموضوعة فوقها، فلم تقم بأي حركة. واذا بجايسون يدور الى الجهة الثانية ويبتعد عنها.

استعادت ديانا تنفسها وسمعته يهمس:

«حاولي ان تنامي بعض الشيء. غداً سيكون نهاراً طويلاً. وستكونين في حاجة لكل قواك».

صوت جايسون الناعس شدّ من عزيمتها. فاسترخت وسرعان ما لجأت الى النوم العميق.

عندما فتحت ديانا عينيها، كانت الشمس قد اشرقت، وكل ما حولها ساكن. وللحظة قصيرة، تساءلت ما اذا كان ما حدث امس مجرد حلم. استدارت. وكانت الجهة الثانية من السرير فارغة. جايسون كان قد غادر. فنهضت ونظرت الى الكرسي حيث وضع جايسون قميصه وسترته. فلم تر شيئاً.

ذهب دون ان يترك اية رسالة. نهضت من سريرها، ودخلت الحمام لتأخذ حماماً سريعاً، ثم ارتدت فستاناً من القطن المعرّق. وبينما كانت تسرح شعرها، رن جرس الهاتف.

وفي اضطراب، امسكت بالسماعة وسمعت صوت جايسون:

«وأخيراً استيقظت ايتها الكسولة. ما رأيك في تناول فطور الصباح، لأشرح لك كيف نظمت سفرك الى بونو. فلم تسمح لنا الظروف ان نتكلم عن هذا الأمر امس».

سألته ديانا:

«اين انت؟»

«في قاعة الاستقبال. انتظرك بعد ثلاث دقائق».

«بعد خمس دقائق».

كان يتمشى مثل اسد في قفص. ولاحظت ديانا ان النساء العابرات يتريثن لينظرن اليه. كان ممشوق القامة، اشقر، لوحته الشمس في هذه البلاد، حيث معظم الرجال سمر وشعرهم اسود.

قال لها من دون مقدمة:

«اتصلت بفاري فاوست. انه وكيل مدير الشركة. لقد ابلغني ان

كريستوفر امضى ليلة جيدة في المستشفى. وهو موافق ان ترافقيني الى بونو».

سألته وهي تتوجه نحو غرفة الطعام:

«لماذا؟ هل كنت في حاجة لاستئذانه؟»

«لا. لكن الاشخاص الذين يقومون بابحاث في حقول النفط يفضلون ان يعرفوا مسبقاً مع من يتعاملون. انهم يخافون ان تقدم الشركات المنافسة على ارسال من يتجسس عليهم».

«شكراً. لم اكن افكر ان...»

فوقفت فجأة وجلست في الكرسي أمام الطاولة.

«لم تفكري بماذا؟»

«انك قلق الى هذا الحدّ لما حصل لأبي».

رمق جايسون ديانا في استغراب ثم هزّ رأسه وقال:

«ان لك رأياً غريباً في الناس عامة وفيّ انا بشكل خاص. لماذا تعتبرين ان الذي حصل لوالدك لا يهمني أو يجعلني غير مبال ولا مكترث؟ أولاً انه انسان ، كما اني اكن له كل محبة...»

توقف عن الكلام بعدما جاء الخادم، ثم اضاف:

«ماذا تريدين ان تشربي؟ هل سبق وتذوقت الليمون الذي ينمو في هذه البلاد؟ يجب ان تجربيه. انه لذيذ الطعم وتجدينه فقط هنا في الأكوادور».

طلب جايسون كل ما يريد بلغة اسبانية صحيحة. وسألته ديانا بتعجب:

«لم اكن اعرف انك تتكلم الاسبانية!»

«امضيت السنوات الثماني الأولى من عمري في هذه المدينة. لقد

اخبرتك ذلك. ثم عشت في تكساس حيث اللغة الاسبانية هي بمثابة لغة ثانية. اتعرفين، ان الولد الذي يتعلم لغة اجنبية لا ينساها مدى الحياة. وعلى هذا الأساس عرضوا عليّ العمل هنا».

ثم اضاف فجأة:

«غيرت تسريحة شعرك».

وللمرة الاولى شعرت ديانا بالخجل امام زوجها. وفي حركة لا شعورية وضعت يدها على شعرها وقالت:

«قصيته حسب الموضة».

«كنت افضله عندما كان طويلاً».

وهنا شعرت ديانا كأنها ارتكبت جريمة لا تغتفر، لأنها قصت شعرها!

جاءت الترويقة المؤلفة من البيض المسلوق والقهوة ذات النكهة اللذيذة، وشرائح الخبز المحمص والزبدة. وراحت ديانا تأكل في شهية وهي تتذكر آخر فطور تناولته مع جايسون، منذ سنة تقريباً.

وفجأة، تذكرت اليوم الذي سبق سفرها بمدة وجيزة، عندما سألت والدها عن جايسون، واين يمكن ان يكون. ولم تنتبه إلاّ الآن انه لم يرد على سؤالها. ثم تذكرت سبب سؤالها عنه ولماذا ارادت ان تعرف مكان وجوده.

يجب ان تجد الوقت المناسب في الأيام القليلة الباقية امامها لابداء رغبتها في الطلاق.

فجأة تقلصت معدتها ولم تعد قادرة على ابتلاع لقمة اخرى. أما جايسون، فكان يأكل بصمت ويشرب قهوته جرعة وراء جرعة ويدخن في هدوء سيكاراً صغيراً.

قالت له ديانا:

«لم تكن تدخن».

«تغيرنا انا وانت في سنة واحدة. انت اصبح شعرك قصيراً، وانا صرت أدخن السيكار. على كل حال عندي اسباب لذلك. ففي الادغال، يساعد الدخان على ابعاد الذباب والبرغش. هل عليّ ان استأذنك قبل ان أدخن».

تشنجت اعصابها لكنها لم ترد، اذ قررت ان تحافظ على ضبط النفس بصورة تامة. واضاف جايسون يقول:

«اذا انتهيت من الأكل، من الأفضل ان نذهب الآن. وجدت مكانين في طائرة صغيرة ستغادر كيتو عند الظهيرة. هل هناك شيء تريدين القيام به قبل مغادرتنا كيتو؟»

أجابت بتعجب بعد أن تذكرت:

«آه، لقد نسيت كلياً... كان من المفروض ان أتناول طعام الغداء اليوم مع ماريا سواريز. سبق لوالدي ان دعا السينيور سواريز الى لندن، ونحن الآن ضيوفها».

«اعرف، اما زلت تعملين عند الصديق باجي؟»

تعجبت ديانا ان جايسون ما زال يتذكر اسم معمل الألبسة الصغير الذي تعمل فيه، كانت تظن انه نسي كل شيء يتعلق بها.

«نعم... اني ناجحة في عملي. والثياب التي اصممها تباع بكثرة».

ومن دون وعي، كانت تحاول اقناعه انها لم تمض تلك السنة في انتظاره، أو في البكاء.

قال جايسون:

«لماذا جئت الى هنا مع والدك؟»

فكرت ديانا انها الطريقة الفضلى للتحدث عن الطلاق. لكنها

لم تكن قادرة على الاقدام على هذه الخطوة. اجابته بتوتر:

«كنت أنوي ان امضي عطلتي في مكان ما. فطلب مني والدي ان ارافقه. وكنت احب التعرف الى اميركا الجنوبية. لست نادمة ابداً. انها منطقة رائعة.»

سألها باسترخاء من دون ان يحوّل نظره عنها:

«هل تحبين كيتو؟»

اجابته مبتسمة:

«كثيراً. اعتدت على العلو الشاهق. اني اشعر بأني في بلد ساحر».

«عندما تشاهدين الأدغال، سترين انها أكثر سحراً. واذا بقيت هناك بعض الوقت، ستتغيرين كلياً».

ماذا يقصد بذلك، هل ان عمله في قلب الادغال جعله يتطوّر؟ ونظرت اليه ولاحظت التجوّف تحت عينيه. فكان يبدو كأنه عاش تجربة قاسية جداً.

نهضت ديانا وقالت:

«يجب ان اعلم ماريا بالأمر»

«هذا سهل جداً. سنمرّ عليها قبل ذهابنا الى المطار. اذهبي واحضري حقائبك، وغيّري ثيابك، لأن ثوبك هذا ليس لائقاً بأمرأة ذاهبة الى قلب الأدغال. وستضعين بقية اغراضك عند ماري».

«يبدو انك تعرفها جيداً».

«نعم، اني اعرفها جيداً. هيّا، لا تتأخري».

وفي السيّارة، كانت ديانا تتأمل وادي كيتو، والمنازل ذات السقوف المبنية من حجارة القرميد الاحمر، والقباب المستديرة للأديرة والكنائس القديمة. فجأة قالت ديانا:

«سيكون من الصعب جداً ان نشرح لماريا اننا متزوجان، واننا...»

اجابها وهو يسرع في القيادة:

«واننا... ماذا؟»

«واننا مفترقان».

سألها في سخرية:

«وهل نحن مفترقان حقاً؟»

«كيف تفسرّ اننا لم نعش مع بعضنا منذ أكثر من سنة».

اجابها بحدة:

«لم نعش مع بعضنا كما يجب قبل ذلك أيضاً. على كل حال، ماريا انسانة متفهمة. انا سبق واخبرت سانشو عن وضعنا، ولا بد أنه أخبر ماريا بذلك. سيتساءلان لماذا نتصرف بهذه الطريقة. لكن، من ناحية اخرى، انهما شخصان متسامحان، ويقبلاننا كما نحن، من دون ان يطرحا أيّ سؤال. وهذا ما يعجبني فيهما».

وفهمت ديانا ان جايسون اراد ان يجعلها تلاحظ انها غير قادرة على ان تقبل الناس كما هم، من دون اسئلة.

وصلت السيارة بهما الى قلب المدينة. المارة يتجمعون على الارصفة: رجال اعمال انيقون، جنود بالبذلة الرسمية، تلاميذ واقفون في الصف، ربات المنازل يتأبطن السلال، هنود يرتدون معطف البونشو المختلف الالوان، والقبعات المحاكة من القش المحلي.

كان جايسون يقود السيارة في الشارع الرئيسي بعدما راح يعبر طرقات صغيرة ماراً تحت رواق مزين بالفاكهة والازهار. ثم توقفت السيارة في الساحة الكبرى التابعة لمنزل عائلة سواريز، وهو منزل رائع من الطراز الاسباني.

سمعت ديانا صوت المياه وزقزقة العصافير المتجمعة حول المياه. ولاحظت كثافة المزروعات: اشجار الليمون في جوار الصبّار، وكذلك شجر النخيل الذي يعكس ظلاً مبعثراً على الأرض المبلطة بالفسيفساء. وفي كل مكان من المنزل كانت ترى النباتات المتسلقة على الجدران البيضاء، المحملة زهوراً حمراء وصفراء.

قالت ديانا بسحر:

«انها من الأماكن المفضلة لدي».

أجابها جايسون:

«وأنا أيضاً، احب هذا المنزل كثيراً».

انفتح الباب الخشبي القديم المنحوت، وظهرت ماريا سواريز. انها امرأة نشيطة، مرحة ومليئة بالدفء. راحت مسرعة نحو جايسون وقبلته قائلة:

« جايسون، صديقي، كيف حالك؟»

أجابها بالاسبانية وهو يشير نحو ديانا. عانقتها ماريا وقالت:

«آه، ديانا، اني آسفة جداً لما حصل لوالدك. ماذا تنوين فعله؟»

اجاب جايسون:

«اني اصطحب ديانا الى بونو حتى ترى والدها اليوم. وستقلع الطائرة عند الظهر».

قالت ماريا وهي تهز رأسها موافقة:

«حسناً. هكذا يجب ان تتم الامور. عندما يكون هناك مشاكل، فنحن كلنا في حاجة الى الذين نحبهم. تفضلوا وادخلوا الى المنزل. ما رأيكما بفنجان قهوة قبل رحيلكما».

سألها جايسون:

«هل يمكنك ان تؤدي لنا خدمة بسيطة، يا ماريا؟»

اجابت ماريا:

«بكل سرور، ماذا تطلبون مني ان افعل؟»

«هل يمكن لديانا ان تضع عندك جزءاً من حقائبها، من اجل الا نضع ثقلاً في الطائرة؟»

«طبعاً. بوسعك ان تضع الحقائب في الغرفة التي سكنت فيها، يا صديقي. سنأخذ القهوة في قاعة الاستقبال. رامون هنا في المنزل واعتقد انه يحب ان يراكما».

كانت الغرفة التي سكن فيها جايسون تطلّ على الحدائق المزروعة بجميع انواع الفاكهة المحلية. وكان اثاثها فاخراً.

قالت ماريا وهي تساعد ديانا على اختيار الفساتين التي تنوي اخذها معها الى بونو.

«جايسون بقربك وسيساعدك لترتيب امورك وتحلي مشاكلك، كما يفعل الزوج الصالح.»

تلعثمت ديانا وهي تقول:

«لا بدّ أنك استغربت اني...اني لم احدثك عنه.»

«هذا لم يفاجئني؛ انني اعرف كيف يحتفظ الانكليز بمشاكلهم لأنفسهم. لقد ادركت انك زوجة جايسون، لأنك تحملين اسم عائلته».

«لم اكن اعرف انه موجود في الاكوادور. لم يقل لي ابي شيئاً بهذا الخصوص».

اجابتها ماريا وهي تبتسم:

«لكن والدك يحبك كثيراً، يا عزيزتي. وهو قلق عليك أكثر من اللزوم».

اجابتها ديانا:

«صحيح؟ هل كنت تعرفين ان جايسون متزوج؟ هل اخبرك بذلك؟»

«نعم، كنت اعرف انه متزوج، لكن ليس جايسون الذي اخبرني بذلك. لم يكلمني عنك منذ ان عرفته، وحتى عندما سكن عندنا بعد الحادث الذي اصابه».

«حادث؟ أيّ حادث؟»

تذكرت ديانا فجأة آثار الحروق التي رأتها على جسم جايسون الليلة الفائتة.

اجابتها ماريا بتعجب:

«لم تسمعي بالحادث؟ الم يخبرك جايسون بالحادث الذي تعرض له؟ آه، اني لا ارى داعياً لهذا الكتمان. نحن، شعب اميركا اللاتينية، لايمكننا ان نفهمكم ابداً، انتم الانكليز!»

سألتها ديانا بالحاح:

«ارجوك، اخبريني ماذا جرى له؟»

قالت لها ماريا وهي تدلها الى السرير المغطى بالحرير الثمين:

«تعالي واجلسي هنا لحظة».

«حدث ذلك بعد مجيئه الى هنا بأسبوعين تقريباً. لقد تهدم بئر من آبار النفط، وبقي احد الرجال تحت الانقاض. حاول جايسون ان يرفع قضبان الحديد لينقذه، لكن احدى القطع الكبيرة سقطت عليه. واعتقد الجميع انه قتل. في كل حال، لو لم يكن يتمتع بقوة ومناعة، لما استطاع ان يقاوم الآلام التي عذبته بضعة شهور وكان قضى نحبه. لازم الفراش لمدة ستة أشهر. وخلال فترة النقاهة، كان يسكن هذه الغرفة. آه، ما كان يجب ان اخبرك، اراك شاحبة اللون. ارجو ألاّ يغمى عليك؟»

«انا على ما يرام، اؤكد لك ذلك. اكملي، ارجوك. لماذا جاء يسكن هنا؟»

«كما تعرفين، سانشو، زوجي، له مصالح في الشركة النفطية حيث يعمل جايسون. وسبق له ان تعرف الى والد جايسون وتذكر وفاته المؤسفة في بلادنا. عندما ذهب سانشو الى المستشفى لزيارة زوجك، خيّل اليه ان شيئاً ما يدور في رأسه لم يعجبه. كان يائساً ومن الصعب ان يشفى تماماً اذا بقيت معنوياته هابطة. وعندما اخبرني رامون بذلك، طلبت منه ان يقترح عليه السكن عندنا. فقد كنت اهتم به كل الاهتمام، بمساعدة ابنة اخي روزا. تكلمنا عن اشياء كثيرة، لكنه لم يلمح الى وجودك بأية اشارة. ما الذي جعلكما حزينين هكذا، يا ديانا؟»

«لقد تشاجرنا».

«تشاجرتما؟ هه هه! سامحيني اذا ضحكت هكذا، لكن ماذا تعني المشاجرة؟ سانشو وانا، غالباً ما نتشاجر، لكننا نتصالح دائماً، وبسرعة».

أجابت ديانا:

«لكن في مثل وضعنا، كانت الأمور حساسة للغاية. ان كذب جايسون عليّ. لم يكن قد مضى على زواجنا أكثر من تسعة اشهر، عندما اكتشفت ان هناك امرأة أخرى...»

توقفت فجأة عن الكلام، بعدما ادركت انها ذهبت بعيداً في الاعتراف.

أجابتها ماري بصوت ناعم:

«انا افهمك، انت تتعذبين، وبسبب هذا العذاب اردت ان يتعذبَ هو بدوره. ثم هناك عنفوانك. يا للأسف، لأن جايسون في حاجة الى

دفئك والى نعومتك. اني آمل ان ينفتح قلبك له من جديد، وان تحبيه من جديد. هيّا بنا نتناول القهوة. ان رامون يصرّ على لقائك».

دخلا قاعة الاستقبال وكان رامون في انتظارهما. انه رجل نحيف، ذو شعر اسود وملامح ناعمة تقدم من ديانا، التي فوجئت، اذ راح يقبل يديها بشغف كبير ويقول بنبرة مسرحية:

«اني آسف جداً»

«لماذا؟»

اجابها وهو ينظر الى جايسون:

«لأني علمت الآن انك زوجة جايسون، هذا الانسان الرائع».

«لكن كنت تعرف اني امرأة متزوجة، لا بدّ ولاحظت خاتمي».

«نعم، لكني اعتقدت انك أرملة. لم تخبرينا عن زوجك».

سمعت ديانا صوت جايسون يناديها من الغرفة المجاورة:

« ديانا، هل انت مستعدة؟ اقترب جايسون من رامون وقال له مازحاً:

«لا تتعب نفسك، يا صغيري، السيدة ليست في سنك».

«لم اعد ولداً صغيراً اني رجل مثلك!»

«اتعتقد ذلك؟ يبدو لي انك ما زلت متعلقاً بثياب امك».

قالت ديانا لجايسون وهي في السيارة:

«ما كان يجب ان تسخر من رامون. كان يريد المزاح فقط».

«الم تنتبهي ان رجلاً من عمره من السهل ان يقع في شراك الغرام. انه يفتش عن المرأة المثاليه. ومن الممكن جداً ان يتصوّر انك انت تلك المرأة. الا تعرفين انك تجذبين الرجال، خاصة بعدما نضجت بعض الشيء».

«انا لست آكلة الرجال!»

«في كل حال، انت تحبين ان يغازلك الرجال. انا، الذي اعتقدت انك امرأة رائعة، عندما تعرفت عليك، اصبت بخيبة الأمل».

كلامه هذا كان صدمة لديانا. فراحت تغرز اظافرها في كفيها. فهي تتعذب لما يقوله الآن.

غادرت السيارة المدينة ودخلت في طريق عريض تصل بها الى المطار. ومن بعيد بدأت تظهر مراتب الطائرات، وفي الأعالي برزت الجبال الخضراء، التي كانت ترى بوضوح تحت سماء زرقاء خالية من الغيوم.

شعرت ديانا بالألم يهدأ في داخلها. لماذا هي وحدها تتعذب؟ كل الكبت الذي تراكم خلال ١٥ شهراً، انبثق ثانية وانهمر عليها كالحمم التي يقذفها البركان عند ثورانه.

قالت ديانا غاضبة:

«لم تكن الوحيد الذي اصيب بخيبة أمل. انا التي لم اكن سوى فتاة مسكينة عاطفية تتعلل بالاوهام، وقعت في غرام رجل اعتقدته صادقاً، كما تصورت انه يحبني كما احببته! واعتقدت انك عندما تزوجتني، كنت مستعداً للتخلي عن حريتك. لكن لم تكن مؤهلاً لذلك. فلم يكن في نيتك التخلي عن أيّ شيء، لتصبح زوجاً كما يجب، ولم تتصرف معي كما لو كنت زوجتك. لم أكن بالنسبة اليك غير امرأة كبقية النساء، عبدتك، تلك التي تأتي لزيارتها في لندن، من وقت الى آخر...»

اجابها بحدة:

«هذا غير صحيح».

«اذن، لماذا ذهبت هكذا، بغتة؟ لماذا لم تكتب اليّ تقول أين انت؟ لم

تكن تريدني؟ او لأنك كنت سعيداً للغاية لأنني اعطيتك فرصة الانفصال عني!»

شعرت ديانا بانزعاج وسكتت وراحت تحدق بالطريق أمامها من دون أن ترى شيئاً. كان قلبها يخفق بسرعة. واقتربت السيارة شيئاً فشيئاً من ابنية المطار، ثم دخلت الباحة المخصصة لوقوف السيارات ووقفت في احدى المواقف قرب السيارات الأخرى. وبهدوء تام، اقفل جايسون محرك السيارة. ووقع الصمت المزعج بينهما.

القت ديانا نظرة جانبية الى جايسون. كانت يده ممسكة بمقود السيارة. فالتفت نحوها واصبحا وجهاً لوجه. كان وجهه قناعاً لا يمكن اختراقه.

قال اخيراً في نبرة ساخرة:

«اذن، هكذا تنظرين الى الامور. اني اعرف جيداً من الذي ساعدك على تبني هذا الرأي. صديقتك العزيزة، اونيس فهي غيورة منك لدرجة انها تعمل كل جهدها لاتهامي امام عينيك...»

تلعثمت ديانا وراحت تدافع عن صديقتها:

«لم تقل...اعني، لم تكن...»

لكنها اضافت بفضول:

« اونيس، تغار مني؟ ما تعني بذلك؟ لماذا تغار مني؟»

«لست انا الذي سوف أشرح لك ذلك. لكني احب ان تعرفي اشياء كثيرة. عندما ذهبت بغتة، كما تقولين، جئت الى هيوستن. وهذا ما قلته لك. ومن هناك جئت تواً الى كيتو لأحل مكان وكيل المدير الذي يختص بالابحاث. واتصوّر انك لن تصدقي ما سوف اقوله الآن. كنت اريد ان اكتب اليك واطلب منك ان تأتي الى هنا. وكنت وجدت

لنا منزلاً في المدينة، وهكذا نكون معاً كلما اعود من الأدغال. لكن قبل ان اجد الوقت للكتابة، كان عليّ التوجه الى الأماكن حيث تجري الابحاث، وذلك من اجل تصفية احدى المشاكل. وهناك، حدث شيء ما منعني من تحقيق هذا المشروع.»

«الحادث، اعرف، اخبرتني ماريا اليوم».

وشعرت ديانا بالألم عندما تصورته جريحاً وهي عاجزة عن فعل أي شيء لمساعدته او الاهتمام به.

تابع جايسون كلامه كأنه لم يتوقف:

«ولما بدأت صحتي تتحسن وصرت قادراً على الوقوف، وصلت رسالتك. وبسبب التأخير في البريد، بقيت الرسالة في الطريق أكثر من ثلاثة اشهر».

توقف لحظة وأخذ نفساً عميقاً ثم تابع:

«أتعرفين بماذا فكرت عندما قلت لي في رسالتك انك مستعدة لتسامحيني. بالنسبة اليّ هذا يعني انك فقدت الثقة بي، وانك ما زلت تعتبرينني دجالاً محتالاً. وبما انك تنظرين الى علاقتنا بهذا المنظار، فأنا لا أريد هذه العلاقة. ولهذا السبب رفضت الاجابة على رسالتك. وكنت أمل ان تنضجي ذات يوم، وتنظري الى الاشياء بعين مختلفة، او...»

توقف عن الكلام ثم ما لبث ان اضاف بصوت قاتم:

«او ان تطلبي الطلاق».

ان فكرة الطلاق التي حاولت ان تكبتها في اعماقها، طفت الى السطح وبدت بشعة. وغريزياً حاولت ديانا ان تبعد هذه الفكرة لأنها ادركت انها لا تريد الطلاق بالفعل.

قالت بصوت منخفض:

«اني أسفة للحادث الذي اصابك، والآلام التي عانيت منها. لو فقط أخبرني احد بالأمر...»

أجابها بمرارة:

«ماذا كان حدث؟»

«كنت اخذت الطائرة والتحقت بك...»

«لتمسكي بيدي وتقولي انك سامحتني؟ لا شكراً».

ادارت ديانا وجهها حتى لا تدعه يرى الدموع التي بدأت تتساقط.

تابع جايسون:

«ارجو ان تفهمي ما كنت احاول قوله. لا اريد منك ان تسامحيني لست في حاجة لأن احصل على الغفران. ليس عندي شيء آخذه على نفسي».

«لكنك رفضت ان تقول لي لماذا ذهبت الى باريس. انه شكل من أشكال الكذب، أليس كذلك؟»

وفي عنف، فتح باب السيارة وخرج منها. ثم انحنى قليلاً وقال لها من خلال النافذة:

«ما الجدوى من الكلام. ارجوك ان تخرجي من السيارة وان تسرعي لأنه اذا بقينا هنا نتجادل، فلن نستطيع ادراك الطائرة التي لن تنتظرنا بالطبع. هيّا اتبعيني»

٤ ـ عالم جايسون

وعندما شاهدت ديانا الطائرة التي ستأخذها الى بونو، ادركت لماذا اصرّ جايسون الا تأخذ سوى حقيبة واحدة. انها طائرة صغيرة بمحركين، لا تنقل سوى ستة مسافرين. طلب جايسون من ديانا ان تضع حزام الامان. ليس في الطائرة مضيفات، وكل مسافر مسؤول عن نفسه.

وبعد دقائق قليلة، أقلعت الطائرة وحلقت في مضيق عميق بين جبلين. وبعيداً في نهاية المضيق، سيل صغير يتدفق مثل خيط رفيع فضي ضائع في وسط كتلة خضراء.

داخل الطائرة، تجلس قرب ديانا فتاة في العاشرة من عمرها، تبدو من أصل هندي. وهناك رجل وامرأة تحمل طفلاً. وجايسون يتحدث مع رجل أبيض يبدو انه على معرفة وثيقة به.

بدأت الطائرة بالهبوط تدريجياً نحو عمق المضيق الذي راح يتسع شيئاً فشيئاً. ثم اصبح السيل المائي نهراً.

لاحظ جايسون اهتمام ديانا بالمنظر الذي يحلقون فوقه، فقال لها شارحاً:

«انه نهر نابو، احد روافد نهر الأمازون. قام والدي بابحاثه على بعد قليل من هنا، أكثر شمالاً».

سألته ديانا:

«هل عثرتم على البترول؟»

شعرت بالغبطة عندما أدركت أنها المرة الاولى التي تدخل فيها الى عالم زوجها، هذا العالم الذي كان يبعدها عنه، عندما كانا يعيشان معاً في لندن.

أجابها جايسون:

«نعم. والآن نفتش على البترول في الجنوب. ونأمل في ايجاد طبقة تكون امتداد للتي اكتشفها والدي.»

«الم تعثروا على شيء بعد؟»

«بلى، لكننا ما زلنا في حاجة الى القيام باستكشافات وتحاليل كثيرة والذي عمل هنا لعدة سنوات».

تساءلت ديانا في نفسها ان هناك ولا شك مسألة مهمة. لقد اخبرها ان في نيته البقاء هنا في الأكوادور. واذا بالطائرة تنتفض وتدخل في جيوب هوائية.

راح الطفل يبكي والفتاة الصغيرة ترتجف خوفاً. امسكتها ديانا بيدها، تشد عليها. فابتسمت الفتاة. استدار الطيار وتفوه ببعض الكلمات الهندية ونظر الى الركاب بعينين مطمئنتين. فارتاح هؤلاء الى ما سمعوه.

قال جايسون لديانا:

«قبطان الطائرة اسمه تيد تورنر. وهو في الوقت نفسه طبيب. لا يمكنك ان تتصوري مدى اخلاصه وتفانيه تجاه الهنود. لقد انتشر بين القبائل وباء الحصبة الذي ادخله البيض معهم. ويقوم تيد وأصدقاؤه بأدخال اللقاحات الى الأدغال ويعالجون السكان بأنفسهم. وهذه طريقة جيدة لاقناع الهنود بأن البيض ليسوا كلهم رديئين».

قالت ديانا وهي تنظر الى الغابة المليئة بالاشجار:

«من هنا يبدو الدخول الى الادغال صعباً»

«كلا. انها ليست كذلك. في الماضي كان الناس يتجمعون على ضفاف النهر، قبل ان يجلب الاسبان الامراض معهم. ان اسلاف هذه الفتاة الجالسة الى جانبك عاشوا هنا عدة سنوات، وكانوا يحمون انفسهم ضد الغرباء باستعمالهم الاسهم الصغيرة المسمومة. وبعضهم ما زالوا يستعملونها الى اليوم. انهم الهنود الجيفارو، وميزتهم الاساسية هي التوصل الى جعل الرأس البشرية في حجم برتقالة».

نظرت ديانا الى الفتاة وقالت:

«أه، لا. يا الهي!»

قال جايسون وهو يضحك:

«لا تخافي، ان معظم الهنود اليوم يلجأون الى التقاليد نفسها. فالرجال، مثل تيد، جعلوا بعضهم يألفوننا. ستهبط الطائرة بعد دقائق قليلة. ونحن وحدنا سنذهب الى بونو، مع الباحث الجالس قبالتي. وتيد سيوصل العائلة الهندية الى بلدتها مع الأدوية. كان الطفل يشكو من مشاكل في الجهاز الهضمي، فأخذهم تيد الى كيتو واجرى للطفل عملية جراحية. والظاهر ان الجراحة نجحت والولد في صحة جيدة».

فوجئت ديانا باهتمام جايسون بأهل البلد، لكنها تجنبت ابداء اي ملاحظة حول هذا الموضوع.

حطت الطائرة في مدرج مطار صغير. كان الهواء ساخناً ورطباً، وملابس ديانا تلتصق بجسمها.

فجأة ظهرت في السماء طائرة هيلكوبتر، تشبه التنين الضخم: شيء غريب في هذا الديكور المتنوع. وما ان هبطت الى الارض حتى خرج الرجال في بذلات عملهم وتوجهوا نحو المرآب.

صعد الجميع في شاحنة كانت في انتظارهم، فتبعهم جايسون

وديانا. تحركت الشاحنة متوجهة نحو مدينة بونو.

ولدى دخول الشاحنة قلب المدينة، اكتشفت ديانا ان بونو مدينة حقيقية، تشبه المدن الصغيرة، وابنيتها من الطراز الاسباني. عندما كانت لا تزال في الطائرة كانت تتوقع ان ترى بعض الأكواخ المنثورة هنا وهناك في قلب الأدغال. كانت المنازل قديمة العهد، من أيام الاستعمار، جدرانها مطلية بالكلس الأبيض وسقوفها مبنية من حجارة القرميد. وأعلى بناء في هذه المدينة كنيسة فوقها برجان يطلان على بقية المنازل. وهنا وهناك، بعض البيوت الحديثة العهد المؤلفة من طابق واحد.

قالت ديانا وهي تلتفت نحو جايسون:

«لم أكن اتصور ان بونو مدينة بهذا الاتساع».

«هذه المدينة تتطور بسرعة، بسبب الابحاث التي تجري لأكتشاف البترول. كذلك صناعة السكر من القصب السكري. وعائلة ماريا تملك معامل عدة. ويمكنك ان تقرأي اسم عائلتها قبل الزواج على عدد لا بأس به من المباني هنا: معامل غيبارمو. وكذلك هناك السيّاح الذين يأتون دائماً. البعض يقول ان بونو هي مدخل الأدغال».

دخلت الشاحنة ساحة ضيقة حيث تنتصب كنيسة صغيرة. وفي الجهة المقابلة بناية من الخشب واجهتها مزينة بكلمات منقوشة بأحرف مصنوعة من النيون: الفندق الكبير.

امر جايسون سائق الشاحنة بالتوقف أمام الفندق. وعندما دخل جايسون و ديانا الى مدخل الفندق كانت تنظر اليهما امرأة هندية عجوز، على رأسها قبعة عريضة من القش، قربها سلة مليئة بالبرتقال والليمون الحامض.

راح جايسون يشرح لديانا وهو يتسلق سلماً قديماً من الخشب

يصل الى شرفة كبيرة تطل على المدينة:

«في هذا الفندق انزل عادة. هل انت جائعة؟»

«قليلاً، اني اشعر بالظمأ».

«سنضع حقيبتك في غرفتي، ثم تأخذ طعاماً خفيفاً وبعدها اوصلك الى المستشفى».

كانت صاحبة الفندق امرأة بدينة. استقبلت جايسون بأبتسامة عريضة ورحبت بديانا في كلمات لطيفة.

في غرفة جايسون سرير عريض ضخم، وخزانة وطاولة. نوافذ الغرفة تطل على الساحة الصغيرة. وهناك حمام متصل بالغرفة القديمة العهد لكنها نظيفة والحمام أيضاً. دخلت ديانا وغسلت يديها ووجهها بسرعة ثم ارتدت فستاناً من القطن.

نزلا الى غرفة الطعام وراحا يحتسيان عصير البندورة ويأكلان وجبة مؤلفة من الدجاج المطبوخ مع البصل والبندورة والفليفلة الخضراء، تقدم مع الرز.

بعد هذه الوجبة الدسمة، شعرت ديانا بارتياح وفرحت عندما اقترح عليها جايسون الذهاب الى المستشفى مشياً على الأقدام.

«المستشفى ليست بعيدة من هنا، ويمكنك ان تعودي الى الفندق من دون صعوبة، اما انا فليس في وسعي ان ابقى معك، هناك مشكلة في احدى الآبار الجديدة واني مضطر ان اذهب الى هناك في الحال، اي بعد ايصالك الى المستشفى».

سألته وهي تحاول جاهدة ان تتصرف باسترخاء، ومن دون ان تجعله يلاحظ الخوف من ان تجد نفسها متروكة وحيدة في هذا المكان المجهول:

«هل ستعود في المساء؟»

«لست متأكداً. لا تنتظريني».

حين خرجا من الفندق، بدأ المطر يتساقط. امسك جايسون بذراع ديانا واسرعا نحو المستشفى. وهو بناء مؤلف من طابقين. وما ان وصلا الى باب المستشفى الزجاجي حتى راح المطر ينهمر بعنف يشبه العاصفة.

لم تر ديانا المطر ينهمر بهذه القوة كما تراه الآن. كأنما خيوطاً طويلة رمادية تصل السماء بالأرض. وتبدو الأبنية كأنها تقترب من بعضها البعض. الشارع اصبح مستنقعاً كبيراً من الوحل والماء.

استقبلت ديانا امرأة شابة ترتدي بذلة بيضاء وتتكلم اللغة الانكليزية بطلاقة:

« السينيور فارلي سيكون سعيداً لرؤيتك. لكنه متعب وما زال تحت تأثير الصدمة. فالضربة التي اصابته في رأسه كانت عنيفة للغاية».

سألتها ديانا:

«اتعتقدين انه سيتمكن من العودة الى كيتو، قريباً؟»

«لا يمكنني ان اعطيك جواباً على سؤالك. عليك ان تسألي الدكتور ويلبي الذي سيحضر في الغد. ان غرفة والدك في الطابق الثاني، الغرفة الثالثة يساراً في نهاية الممشى».

اجابتها ديانا وهي تبتعد:

«شكراً جزيلاً».

ربت جايسون على كتفها وهمس قائلاً:

«ليس لدي الوقت لأرافقك. عليّ ان اعود الى المطار لأستقل الطائرة المقبلة».

في هذه اللحظة بالذات لم يكن امام ديانا سوى رغبة واحدة: ان

تضع رأسها على صدر زوجها وتحيط خصره بذراعيها. رفعت رأسها وقالت بتوسل:

«جايسون ، لا تذهب، ارجوك ان تبقى معي».

تردد قليلاً وتقلصت عضلات وجنتيه. لكنه سرعان ما استرخى ونظر الى الخارج حيث المطر ما يزال ينهمر. ثم قال لها بحزم:

«لا استطيع».

«اذن، ارجوك ان تعود الليلة».

«لا يمكنني ان اعدك بشيء. هناك احتمال لأن اضطر الى التغيّب اياماً عدة».

أجابته بلهجة يائسة:

«ربما غادرت البلاد قبل ان تعود؟ قد يشفى ابي بسرعة ونعود الى كيتو، فماذا ستفعل؟»

استدار عنها وتوجه نحو الباب. شعرت ديانا بالذعر لمجرد التفكير بأنه يتركها من دون ان تعرف متى سيعود. تماماً كما حدث منذ سنة.

وأمام الباب توقف جايسون والتفت نحوها وراح يتأملها، كأنه يريد ان يرسخها في ذهنه. تشجعت ديانا واقتربت منه ووضعت يدها على ذراعه وهمست:

«اتوسل اليك، يا جايسون».

أجابها بمرارة:

«لماذا تتوسلين اليّ. هل تريدين ان اعدك بشيء يرضيك حتى تعاتبيني اذا لم استطع ان ابّر بوعدي. لا. ابداً. هل تفهميني؟ اذا لم تكوني هنا عندما اعود الى بونو، سوف اعرف ان كل شيء انتهى بيننا. ولن احاول البحث عنك. هل انا واضح؟ سلامي الى كريستوفر، وقولي له من جانبي انني اتمنى له الشفاء العاجل».

خرج جايسون بسرعة، وشاهدته ديانا يبتعد تحت المطر القوي، ثم اختفى. صعدت الى الطابق الثاني وتوجهت نحو المشى الذي يقودها الى غرفة والدها.

كانت غرفته صغيرة ونظيفة. وكان الهواء داخلها منعشاً، بسبب المكيّف المعلّق في سقفها. استقبلتها ممرضة تسهر على عناية كريستوفر فارلي وقالت وهي تبتسم:

«هذه ابنتك يا سيد فارلي».

ثم ابتعدت وقالت قبل ان تخرج من الغرفة:

«ما زال تحت تأثير الصدمة. ارجوك الاّ تبقي معه طويلاً وحاولي الاّ تدعيه يتكلم كثيراً».

كان وجه كريستوفر شاحباً وعيناه تعكسان قسوة المحنة التي اصابته. كانت يده اليسرى مثبتة في الجص ورأسه ملفوفاً بضمادة لأخفاء جرح ما، من دون شك. حاول الابتسام ومدّ يده نحو ديانا.

ابتسمت له بدورها برغم الدموع المنهمرة على خديها وقالت له مازحة:

«تبدو في احسن حال».

«كان حظي يفلق الصخر. لقد مات قبطان الطائرة. ولو لم يكن جايسون موجوداً هناك، لكنت في عداد الموتى».

شعرت ديانا وكأن ركبتيها تخوران وقالت:

«آه، ماذا فعل لك؟»

«كان على ارض المطار يراقب عملية الهبوط. وما ان تحطمت الطائرة حتى هرع ونجح في اخراجنا من داخلها، انا ورجل آخر، قبل ان تنفجر الطائرة.»

اغمض كريستوفر عينيه من دون ان يترك يدها. وكانت الدموع

تتساقط بغزارة على وجه ديانا، وراحت تعض على شفتيها بقوة. فقد عرفت اخيراً لماذا كان جايسون متعباً للغاية في الليلة الفائتة. وادركت الآن مدى شجاعته وشهامته واندفاعه.

قال لها والدها وهو يراقبها من زاوية عينيه بنظرة ساخرة:

«اظن انك فوجئت عند رؤيته».

«نعم، كثيراً! كنت تعرف انه موجود في الأكوادور، أليس كذلك؟»

«نعم، عندما لم تتلقي جواباً على رسالتك، رحت ابحث لمعرفة مكان وجوده».

«ولماذا لم تقل لي شيئاً بهذا الخصوص؟»

«لعدة اسباب، اهمها انني اكره التدخل في شؤون الآخرين. كنت على علم بالمشاجرة التي حصلت بينك وبينه قبل مغادرته البيت».

«كيف؟ من أخبرك؟»

« جايسون، زارني قبل ان يتوجه الى المطار، في اليوم نفسه. كان مضطرباً وأخبرني ما حدث. ولهذا السبب لم اقل لك اين هو. كنت اعتقد ان عليك ان تتعذبي بعض الشيء، وتدفعي ثمن عدم ثقتك به. اتعرفين يا حبيبتي، اني أعتقد أنك كنت على خطأ عندما فضلت تصديق أونيس بدلاً من زوجك»

«ليس ذلك فقط. كان هناك سبب آخر... قل لي، يا أبي، هل كتبت الى جايسون تخبره بوصولنا الى هنا؟»

«كلا. كنت افضل مفاجأته، لكنني لم اكن انتظر منه تلك الصلابة. كان عليّ ان استعمل كل ما لدي من لطف لأقناعه باللحاق بك الى كيتو ليطلعك على الحادث. كنت ارى انها فرصة حسنة لكما لتلتقيا من اجل وضع النقاط على الحروف. هل تحدثتما في الموضوع؟»

اجابته وهي تهز رأسها:

«تقريباً. في كل حال اعرف الآن لماذا لم يرد على رسالتي. لكن لا تتصور ابدا انه غيّر رأيه تجاهي. مرّة ثانية ذهب. لا شيء تغيّر. كما في الماضي، اني، بالنسبة اليه، اقل اهمية من ابحاثه النفطية».

«هل سيعود؟»

«نعم، لكنه لم يقل لي متى».

«واين تسكنين الآن؟»

«في الفندق الكبير وسط الساحة».

«انه ليس المكان المناسب لامرأة وحيدة. عليك ان تنتبهي جيداً. الرجال الذين يأتون الى المدينة بعد غياب طويل في العمل، داخل الادغال، لا يتصرفون دائماً في لباقة».

«لا تخف عليّ. فسأكون حذرة».

لاحظت ديانا والدها بدأ يتعب. فنهضت واضافت:

«سأعود غداً لأراك، في الصباح حتى اكلّم الطبيب. ربما سمح لك بالعودة الى كيتو».

تنهد كريستوفر وقال:

«اشك في ذلك. ما زال رأسي يؤلمني وكذلك ضلوعي. ارجوك يا ديانا، لا ترهقي نفسك كثيراً في هذا الحرّ، وإلاّ تعرضت للمرض».

في الخارج كان المطر قد توقف عن الهطول. وسحابة من الذباب تحلق في جميع الاتجاهات. اسرعت ديانا في خطواتها وتنفست بارتياح عندما دخلت الفندق. قالت لها صاحبة الفندق عندما رأتها تدخل:

«اتريدين فنجاناً من الشاي؟»

«شاي؟ بكل تأكيد!»

وبعد دقائق قليلة، احضرت ابريقاً من الشاي المغلي الى قاعة

الاستقبال وسألت ديانا قائلة:

«هل سيعود زوجك قريباً؟»

«ربما بعد بضعة أيام».

«انه رجل طيّب ولطيف. هل تشتاقين اليه عندما لا يكون في المنزل؟»

«...نعم، اشتاق اليه...»

«ان معظم الرجال الذين يعملون في المؤسسة النفطية غير متزوجين. بعضهم كانوا متزوجين لكنهم طلقوا زوجاتهم. لم أكن أعرف ان السينيور كلارك متزوج، لكن كان عليّ التكهن بذلك. فقد قال لي يوماً انه ينوي شراء منزل في كيتو ليستقرّ فيه. ولكي يريد منزلاً فأنه حتماً يحتاج الى زوجة، أليس كذلك؟»

لم تكن ديانا تعرف ما تقوله، فاكتفت بهزّ رأسها موافقة، لكن كلام صاحبة الفندق جعلها مضطربة طيلة السهرة. هكذا اذن، فقد كان جايسون ينوي شراء منزل. ربما اشتراه، من يدري؟

وما ان عادت الى غرفتها حتى تمددت على السرير. كانت حرارة الطقس ترهقها. فلم تقو على خلع ثيابها. راحت تصغي الى الضجيج الآتي من الخارج والى انغام عذبة منطلقة من قيثارة يعزف عليها رجل. بقيت ديانا ممددة على السرير فترة طويلة والعرق يتصبب منها باستمرار. آه كم تتمنى لو ان جايسون يعود هذه الليلة.

لو لم يكن مضطراً للذهاب الى الأدغال بعد ظهر هذا اليوم. لو بقي معها، لكان معها الآن، يحدثها عن مشاريعه، ويتجاذب معها أطراف الحديث، ربما كانا توصلا الى تفاهم وعادا الى حبهما من جديد.

لقد اصطحبها والدها الى الأكوادور لترى جايسون من جديد وتناقش معه كل ما حدث بينهما. فهل ما تم حتى الآن، سواء في الفندق او على طريق المطار، يوضح الامور؟ على الأقل نجحا في ان

يقيا نوعاً من الاتصال. لقد كانا صديقين وتمكنا من التعبير عما يختلج في اعماقهما.

لماذا، آه لماذا بعثت بتلك الرسالة التافهة؟ لماذا لم تنتظر منه ان يكتب اليها اولاً، كما كان ينوي قبل ان يقع له ذلك الحادث. ربما كان كتب اليها في فترة نقاهته ليطلعها على الحادث، فتستقل اول طائرة لتأتي وتلتحق به.

لكن بدل ذلك، تسلم رسالتها وابت عليه كبرياؤه ان يرد. وبدلاً من ان تكون هي، زوجته، التي تعتني به خلال مرضه، كانت ماريا سواريز وابنة اخيها روزا تقومان بالدور الذي كان عليها هي ان تقوم به.

لقد قال لها: «كنت مخلصاً على طريقتي الخاصة» من الآن وصاعداً بدأت تصدقه. لو قال لها هذا الكلام قبل سنة، لكانت الاشياء مختلفة. لكن هل كانت مستعدة لأن تصدقه في تلك الفترة؟

هي الآن نادمة لأنها سمعت كلام اونيس. ولكن كيف كان بامكانها ان تتكهن بأن صديقتها تغار منها ولذلك كانت تتصرف في حقد. ولماذا كانت اونيس غيورة؟ ابسبب بول؟ لقد قال لها جايسون انه يعرف لماذا تغار اونيس، وليس من المفروض ان تعرف السبب منه. ماذا يقصد بذلك.

لو كان موجوداً معها الآن، لكانت طرحت عليه هذا السؤال بالذات. لكانت سألته أيضاً عن رسالة كارول ولماذا سافر الى باريس لرؤيتها. انها مستعدة لقبول جوابه، أيّاً كان، من دون طرح أيّ سؤال.

لكن جايسون ليس هنا الآن، لقد رحل مرّة اخرى. وماذا لو تركت بونو قبل عودته. لقد افهمها بوضوح ان كل شيء سينتهي بينهما. انه لم يعد يريدها. لقد اعتاد ان يعيش من دونها. او ربما التقى

امرأة اخرى؟ لا بدّ ان ذلك صحيح. لقد تعرف الى امرأة ومن اجلها يحاول شراء منزل في كيتو. امرأة يتزوجها بعدما يتم الطلاق منها. أليس هو اول من ذكر كلمة الطلاق.

لقد تأكدت الآن بعد ما رأت جايسون من جديد، وبعدما امضت برفقته بضعة ساعات أنها تحبه حباً كبيراً، وانها ملكه جسداً وروحاً. واذا حدث ما يجعلها عاجزة عن ان تكون زوجته من جديد، فان الحياة لن يعود لها بالنسبة اليها اي معنى.

استيقظت ديانا وهي تشعر بجفاف في حلقها، وبصداع عنيف. نهضت من فراشها، واخذت حماماً، ثم ارتدت فستاناً قطنياً، وتناولت فطور الصباح بشهية وتوجهت الى المستشفى.

كان الهواء ثقيلاً، لكن الطقس جميل. برك ماء تجمعت من الامطار تعكس السماء الزرقاء. وعلى اشرطة الكهرباء والهاتف تحط العصافير الخضراء اللون وتزقزق بفرح.

في المستشفى تعرفت الى الطبيب الذي يهتم بمعالجة والدها. انه شاب اميركي هادىء.

قال لها:

«لن اسمح له بالذهاب الى كيتو في الوقت الحاضر. فهو في حاجة الى الراحة والهدوء. والسفر سيرهقه كلياً».

وراح الطبيب يتأملها بنظراته السريعة ثم قال:

«هل وجودك هنا في بونو يشكل اية مشكلة؟ اذا سارت الامور على ما يرام، فيمكن لوالدك مغادرة البلاد والعودة الى انكلترا خلال اسبوع».

«اتفقنا يا دكتور، سأبقى هنا».

«شكراً، هل تريدين ان نلتقي من جديد في أواخر الأسبوع؟»

«بكل تأكيد»

هذا يسمح لها بالبقاء بعض الوقت، على جايسون يعود. يمكنها ان تراه وربما توصلا الى اتفاق.

«أظن انك ملقحة ضد الأمراض الأساسية... الحصبة والكوليرا والتيفوئيد والتيتانوس والملاريا».

«نعم».

اعطاها الطبيب بعض الأدوية الواقية، ونبهها الاّ تشرب من ماء الحنفيات، وان تكافح تصبب العرق با لاغتسال مرّات عدة خلال النهار.

توجهت ديانا الى غرفة والدها، وابلغته ان عليه البقاء اسبوعاً على الأقل في بونو.

«قلت لك ذلك. في كل حال، انهم يعالجونني ويعتنون بي جيداً. ان الشيء الوحيد الذي يقلقني، هو انت. هل انت مرتاحة في هذا الفندق؟»

«نعم، ان صاحبته انسانة لطيفة وهي تعرف جايسون جيداً».

«ما هي مشاعرك تجاهه؟ اما زلت تنوين الطلاق؟»

«كلا، اكتشفت اني ما زلت احبه واني اريد ان ابقى زوجته. لن أتزوج بول. لكن جايسون يقلقني، يا أبي. يبدو شديد التصلب».

«بصراحة يا ابنتي، انا لا أستغرب موقفه. لقد نبهتك وقلت لك ان العيش معه ليس سهلاً. وبما انك لم تثقي به، فقد لمست النقطة الحساسة لديه. يعني اني متأكد انه لو تنازلت عن كل شيء ولحقت به، ذلك اليوم، لأخذك معه الى هيوستن. لكن الأمور تغيّرت كلياً. واتصور ان ذلك مرده الى تلك الرسالة التي بعثت بها اليه. ماذا كتبت له بالفعل».

تلعثمت ديانا وهي تقول :

«قلت له فيها انني اسامحه».

«لقد ارتكبت خطأً كبيراً، يا حبيبتي».

«لم اكن اعرف ما اكتب له. لو عرفت فقط اين كان موجوداً، لكنت أخذت الطائرة ولحقت به. لم اكن في حاجة لأن اكتب تلك الرسالة التافهة. على كل حال، انت الذي نصحتني بكتابتها».

تنهد والدها وقال:

«هذا صحيح. لكني لم اكن اعرف الى اي درجة كنت تستخفين بالوضع الذي كنت فيه. لو كانت امك بيننا، لكانت قدمت اليك النصائح اللازمة...»

«ارجوك، يا أبي، لا تتهمني. انت على حق. لم اكن ناضجة بما فيه الكفاية. لكن الآن، اعرف ان الزواج ليس فقط...»

تلعثمت ديانا وعضت على شفتيها ثم تابعت تقول:

«اخشى ان اكون قد جئت متأخرة. لدي احساس بأن جايسون وجد امرأة اخرى، وانه لم يعد يريدني».

أجابها كريستوفر فارلي وهو يبتسم:

«يمكنك ان تعرفي الحقيقة ببساطة».

سألته ديانا بتعجب:

«كيف؟»

أجابها وفي نظرته لمحة ساخرة:

«ما عليك إلاّ ان تسأليه».

خلال اليومين التاليين وبرغم حرارة الطقس الملتهبة التي تسيطر على بونو، امضت ديانا ساعات رائعة مع والدها ومجموعة الأطباء الشباب والممرضات الذين يعملون في المستشفى ويعتنون بصحة والدها. كانوا يعالجون في الوقت نفسه العاملين في المؤسسة النفطية

وسكان المدينة. اقيم مركز دائم للمعالجة المجانية، يعمل ليل نهار، مما يتيح للهنود تلقي العلاج اللازم.

في الفندق كان الوقت يمر بهدوء. لقد توطدت العلاقات بين ديانا وجيردا شوارتز، صاحبة الفندق، وهي من اصل الماني. حذرت هذه الاخيرة ديانا من الرجال الذين يتسكعون في شوارع بونو خلال الليل. وفهمت ديانا لماذا اختار لها جايسون هذا الفندق بالذات. كان يعرف تماماً ان جيردا سوف تحميها من كل الأخطار الممكنة. وارتاحت لمجرد التفكير بأن زوجها ما زال يهتم بمصيرها، مما جعلها تستنتج ان حبه لها لم يزل قائماً.

وفي احد الايام، وبينما كانت ديانا تستعد للتوجه الى المستشفى، توقفت سيارة كاديلاك سوداء امام الفندق. قفزت جيردا من مكانها وقالت في تعجب باللغة الالمانية:

«يا الهي! انه لويس غييارمو!»

سألتها ديانا:

«من يكون؟»

«أغنى رجل في البلاد، اتساءل ماذا جاء يفعل هنا؟»

فتح السائق باب السيارة التي تحلق حولها الصبيان الهنود ونزل منها رجل اسمر، شعره الاسود ممشط الى الوراء، يرتدي بذلة رمادية أنيقة. وتقدم نحو الفندق.

وما ان دخله حتى توجه نحو ديانا، ومن دون تردد، انحنى يقبل يدها. فوجئت ديانا التي كانت تنظر اليه وعلى وجهها علامة استفهام.

«اسمي لويس غييارمو، سيدة كلارك. اني شقيق السيدة ماريا سواريز. طلبت مني شقيقتي ان ازورك وها انا هنا».

كانت ديانا تنظر اليه مفصلاً في فضول غريب. كانت ابتسامته ساطعة تشبه ابتسامة ماريا، لكنها لم تكن دافئة مثلها. كان يرمقها بنظرة ثاقبة وعيناه الرماديتان تلمعان تحت حاجبيه. انه في حوالى الخامسة والاربعين من عمره، جميل المنظر وجذاب، ويبدو واثقاً من نفسه تمام الثقة.

اجابته ديانا بتحفظ:

«اسعدني التعرفّ اليك، يا سيدي».

«ووالدك، هل تحسنت صحته؟»

«ان صحته تتحسن يوماً بعد يوم».

«عظيم، اود ان ازوره، اذا كان ذلك ممكناً».

«طبعاً. سيكون مسروراً على التعرف اليك. أنا ذاهبة الآن الى المستشفى».

«في هذا الحال، اسمحي لي بمرافقتك في سيارتي».

بعد تردد قصير، صعدت ديانا الى السيارة. وكذلك لويس غييارمو.

سألها لويس في سخرية:

«اين هو الآن، هذا الانسان المتغطرس، اعني جايسون؟»

«لم اكن اعرف انك تعرفه».

«رأيته مرّات عديدة في كيتو، عند آل سواريز كما جاء الى مزرعتي وامضى فيها عدة ايام. لكني لم اكن اعرف انه متزوج وزوجته بهذا الجمال الفاتن. اني اتساءل فعلاً لماذا لم يكلمنا عنك ابداً!»

لم تكن ديانا تعرف ماذا تقول، ففضلت التزام الصمت كيف يمكنها أن تشرح لهذا الرجل الغريب تصرف جايسون الفريد؟ اكتفت بأدارة وجهها والنظر من خلال النافذة بصمت.

وصلت السيارة امام المستشفى وتوقفت. فتح السائق الباب الخلفي. خرج منه لويس اولاً وساعد ديانا على الخروج.

وكما كانت تتوقع فقد فرح والدها بزيارة لويس، ودارت الاحاديث حول حادث الطائرة وحول فترة النقاهة. واذا بلويس يقول:

«اسمح لي ان اقترح شيئاً. يسعدني ان اصطحب ابنتك الى مزرعتي يوماً او يومين. هل تسمح لي بذلك؟ انه افضل لها من البقاء وحيدة في هذا الفندق. وانا مثلك يا سيدي، رجل ارمل، وابنتي روزا تعيش معي. انها أصغر من ديانا بسنوات قليلة. لكني اعتقد انها ستكون سعيدة بالتعرف اليها».

اجابه كريستوفر فارلي وهو يبتسم:

«اريد ان اؤكد لك اولاً، ان ابنتي ليست في حاجة الى اذن مني، فهي حرّة لأن تفعل ما تريده».

اجابه لويس غيبارمو:

«نعم. فهمت. اذن، ما رأيك يا سيدة كلارك؟ هل تحبين مرافقتي اليوم فتمضين الليلة في المزرعة؟ واذا اعجبك المكان، يمكنك البقاء هناك مدة أطول.

«أشكر لك دعوتك هذه، يا سيد غيبارمو. لكنني جئت الى بونو لأكون قرب والدي. ألا يكفي ان ازوركم اليوم واعود في المساء؟»

«كما تريدين. لكن مزرعتي على بعد اربعين كيلومترا من هنا، ومن الافضل لو تبقين الليلة هناك».

ترددت ديانا. فهي تحب زيارة المزرعة والتعرف الى روزا. اخبرتها ماريا عنها اشياء جميلة. لكنها كانت تخاف أن يأتي جايسون في غيابها.

قال لها والدها:

«لا اريدك ان تبقي هنا من أجلي، يا حبيبتي. ان حالتي تحسنت، ولا أعتقد انه سيحدث لي اي شيء في غيابك».

«لكن، اذا عاد جايسون ولم اكن هنا؟»

أجابها لويس:

«لماذا لا تتركين له رسالة تخبرينه أين تكونين. واطلبي منه ان يلحق بك. فروزا وأنا يسرنا ان نراه».

التفتت ديانا نحو والدها وقالت:

«هل انت متأكد ان كل شيء على ما يرام؟»

«بالتأكيد، يا حبيبتي. استفيدي من هذه الفرصة... في كل الأحوال لن تتسنى لك الفرصة دائماً لقضاء بعض الوقت في مزرعة حقيقية».

قالت ديانا لـ لويس:

«اتفقنا يا سيدي. سأرافقك. عليّ فقط ان أذهب الى الفندق لأجلب معي بعض الأغراض، واترك رسالة لزوجي».

«طبعاً. انا تحت تصرفك».

قال وهو يلتفت الى كريستوفر:

«الى اللقاء، يا سيدي العزيز. وآمل ان تأتي لزيارتنا، بعدما تغادر المستشفى».

أجابه كريستوفر:

«آسف، يجب ان اعود الى لندن».

نهض لويس غيبارمو وقال لديانا مبتسماً:

«اذن، هيا بنا. هل تسمحين بأن اناديك ديانا؟»

٥ ـ في المزرعة

الطريق التي تؤدي الى المزرعة تتبع اتجاهاً معاكساً للتيار النهري الذي يجتاز بونو. انها طريق واسعة، مبنية حديثاً، تتسلق التلال ثم الجبال.

بعد عدة كيلومترات، عبرت السيارة جسراً نحاسياً، حديث البناء ايضاً. وعند هذا الارتفاع، أصبح النهر جدولاً. وفي بعض الأماكن، لم يكن سوى سيل ماء سريع، ينبثق منه زبد يبدو وكأنه متعلق بالسماء، جاعلاً من حوله الصخور والنباتات المزروعة تبدو متألقة بالوان قوس قزح.

وكانت الغابة شديدة الاخضرار والاشجار متشابكة بطريقة معقدة، كأنما الدخول اليها مستحيل.

«عندما كنت صبياً، كانت هذه الطريق درباً ضيقاً. ولم يكن يعبرها سوى الخيول والبغال. والجسر لم يكن في الواقع سوى جسر ضيق، من جزعي شجرتين وبعض التراب المطروق بينهما. لقد كان العبور عملية انتحارية...»

فجأة انعطفت السيارة الى اليسار وعبرت فوق الجدول من جديد. فشاهدت ديانا شلالاً ضخماً مختبئاً وراء المزروعات والأشجار. كان يدوي عالياً والزبد يرتفع شيئاً فشيئاً ويتبعثر بين الأغصان.

كانت الطريق تتعرج أكثر فأكثر. تبتعد احياناً عن النهر لتقترب

من جديد حتى بعد مئة متر تقريباً.

فجأة، هبط الليل. وفي دقائق قليلة، غمر الظلام الغابة كلها. فاضطر السائق الى ان يشعل مصابيح السيارة، الضوء الوحيد في هذا الليل الطويل.

قالت ديانا بتعجب:

«ما سبق لي أن شاهدت هبوط الليل بهذه السرعة!»

«اظن ان الادغال تؤثر فيك كثيراً».

تذكرت ان جايسون قال لها الملاحظة نفسها. دخلت السيارة قرية صغيرة.

«غداً عندما تستيقظين، ترين الجبال. ان مزرعتي كبيرة. ومنزلي مبني في طرف السهل، ومنزل أخي انطونيو يقع على الطرف الآخر. نزرع قصب السكر والكاكاو والبن. ولدينا أيضاً غابة موز واسعة. كما ازرع الدراق والحامض، فقط للهواية. وهكذا تشكل الحقول مجموعة من الألوان الغريبة في المنطقة».

وفي العتمة شعل لويس سيكارا، اجتاحت رائحته جوّ السيارة.

قال لويس فجأة:

«منذ متى، انت وجايسون متزوجان؟»

فوجئت ديانا بهذا التبدل في لهجة لويس وترددت قبل ان تجيب:

«منذ أكثر من سنتين».

«لكن، مضى على وجود جايسون هنا اكثر من عام. واني اعجب لأنكما افترقتما وانتما ما تزالان حديثي العهد في الزواج. عادة المتزوجون الشباب يفضلون البقاء معاً في السنوات الأولى من زواجهم. هل كان صعباً عليك مرافقته الى الأكوادور؟»

فضلت ديانا السكوت على الكذب. وبقيت صامتة وهي جالسة في العتمة، قرب هذا الرجل الجذاب. راحت تقول لنفسها ان عليها ان تكون حذرة كيلا تسقط امام سحره. راحت تنظر من النافذة ولاحظت ان السيارة تركت الطريق العام وهي تسلك الآن طريقاً خاصة. ومن بعيد، شاهدت نوراً يلمع، تساءلت: لا بدّ ان هذا النور ينبعث من داخل منزل.

همس لويس قائلاً:

«لم تردي على سؤالي، واعتقد اني اعرف السبب».

فجأة، شعرت ديانا بيد لويس تلمس يدها. ارادت ان تسحبها، لكنه تمسك بها وراح يشدّ عليها، ويقول:

«انت بردانة، ايتها الفتاة الصغيرة. هل لأنك لم تعرفي الحب منذ سنة تقريباً؟ حرام ان تلقى امرأة جميلة مثلك، كل هذا الاهمال. لكن قولي لي، ما دور جايسون في كل هذا؟ لابدّ وان ما يسري في عروق هذا الرجل المتغطرس هو الماء وليس الدم».

سحبت ديانا يدها وشعرت بالندم لأنها قبلت دعوة شقيق ماريا. فهي لم تشك لحظة واحدة ان لويس غيبارمو دعاها الى مزرعته لمغازلتها.

«ان يدي باردة لأن سيارتك مكيفة بالهواء البارد. كان عليّ ان أحضر معي كنزة. اما بالنسبة الى السؤال الذي طرحته عليّ حول علاقتي مع جايسون، عليك ان تعرف اولاً، ان حياتنا لا تعنيك. وكي لا تحاول ان تسيء الظن بنواياي، اقول لك اننا نشكل زوجين عصريين. أعمل أنا أيضاً في لندن، اقوم بمهنة أحبها، وعندما ذهب جايسون الى الأكوادور، لم أكن اريد ان اتخلى عن مهنتي. وهو وافق على ذلك، كما وافقت انا على تنقلاته العديدة».

دخلت السيارة احدى الساحات وتوقفت، وراحت ديانا تتأمل أشجار النخيل العالية تتمايل مع هبات النسيم.

قال لويس:

«عظيم انت امرأة حازمة وانا احب ذلك فيك. وآمل ان تأتي الفرصة لأتمكن من مقارنة نفسي بك».

خرجا من السيارة ودخلا المنزل حيث كانت امرأة في انتظارهما.

قال لويس:

«يا عزيزتي ديانا، اعرّفك بالسيدة ماتريلو، انها تدير المنزل، ستأخذك الى غرفتك. واقترح عليك ان تستعدي وتوافيني الى قاعة الاستقبال بعد قليل».

كان أثاث غرفة ديانا بسيطاً، وكانت النافذة تطل على شرفة كبيرة... اما غرفة الحمام فكانت صغيرة الحجم، لكنها مجهزة بجميع وسائل الراحة العصرية. غسلت ديانا وجهها وبدلت ملابسها. ارتدت ثوباً طويلاً من القطن البني اللون وفوقه كنزة صفراء.

كانت قلقة بعض الشيء، لوجودها مع لويس غيبارمو. هبطت السلم وتوجهت نحو غرفة الاستقبال. كانت القاعة كبيرة وجدرانها مغطاة بالخيزران الاخضر الفاتح.

نهض لويس عندما دخلت ديانا الغرفة. وسألها:

«ماذا تحبين ان تشربي؟»

اختارت ديانا عصير الفاكهة الذي قدمه اليها في كأس من الكريستال الفاخر مع بعض قطع الثلج. سألها لويس عندما رآها تتأمل احدى اللوحات:

«هل تهتمين بالفنون؟»

«نعم، اني احب الرسم جداً، درست في معهد الفنون الجميلة في لندن.

ان هذه اللوحة رائعة جداً، من هو الرسام؟»

«انا!»

ابتسم لويس وهو يرى نظرة الارتياب في عيني ديانا. وأضاف:

«صحيح، انا من رسم هذه اللوحة. هناك شيء مشترك يجمعنا، يا عزيزتي. لقد درست الرسم عندما كنت شاباً، في الولايات المتحدة الأميركية، وفي اسبانيا وهنا. انني قبل كل شيء فنان، اما الزراعة فتأتي في المرتبة الثانية. لكنني لست نادماً على زراعة الأرض. فقد اصبحت بسببها غنياً، وهاانذا، اقوم بأسفار عديدة وأرسم حين ارغب وعلى طريقتي الخاصة. عندما أموت، أريد ان يتذكرني الناس اني كنت فناناً وليس مزارعاً غنياً. هذه اللوحة التي تحبينها رسمتها عندما كنت اعيش في كيتو، العاصمة».

عادت تحدق في اللوحة، ولاحظت ان الألوان الغالبة هي الأحمر والأسود. فقالت:

«في هذا الرسم عنف شديد».

«هذا صحيح. ان تاريخ بلادنا وشعبنا مصنوع من العنف. لقد تعذبنا خلال عصور عديدة وما زلنا نقاسي العذاب. شهدت بلادنا الأعصار البركانية، والهزات الأرضية والحروب والثورات. ولا تنسي ان الهنود الاينكاس غزونا، وكذلك الاسبان».

«الهنود الاينكاس؟ كنت اعتقد ان لا وجود لهم سوى في البيرو».

«بالفعل، لقد استقروا في البيرو، واصبحت مدينة كوزكو عاصمتهم. لكن، فيما بعد، انتقلوا صوب الشمال وتغلبوا على شعب كيتو. لكنهم يحبون السلام، ويعيشون من الزراعة، وقد تمركزوا على هذه الأراضي منذ آلاف السنين. في كل حال كان الهنود الاينكاس

بالنسبة الينا كما كان الرومان بالنسبة الى اوروبا. احتلوا البلاد وسيطروا على السكان وقدموا اليهم حضارتهم. وادت سياستهم هذه الى سيطرة السلام في الأراضي المحتلة، مع المحافظة على رفع مستوى الحياة عند المهزومين».

دخلت امرأة شابة الى قاعة الاستقبال. راح لويس يحدثها باللغة الاسبانية، في صوت حاد وباختصار. فتقدمت من المقعد حيث كانا يجلسان.

شعرها اسود قاتم، مرفوع بكعكة في مؤخرة رأسها. عيناها غامقتان وفمها الناعم يؤكد انها ابنة لويس. كانت ترتدي تنورة طويلة كحلية اللون، وقميصاً بيضاء وسترة مطرزة بالذهب.

قال لويس بالانكليزية:

« روزا، اقدم لك ديانا. انها لا تتكلم الاسبانية. وهذه فرصة لك لتتمرني على لغتك الانكليزية».

ابتسامة سريعة لمعت في عينيها، ما لبثت أن خبت حين قالت بلغة انكليزية متكلفة:

«مساء الخير، ديانا. اني سعيدة بالتعرف اليك».

أجابتها ديانا وهي تصافحها:

«وانا كذلك، يسرني التعرف اليك. اخبرتني ماريا اشياء كثيرة عنك».

تناولوا العشاء في غرفة الطعام، وراء طاولة مستديرة عليها شرشف أبيض مع تخريم ناعم. والأواني الفضية كانت رائعة وهي تعود الى القرن الثامن عشر. كان يقدم الطعام شاب يرتدي سترة بيضاء. وكانت وجبة العشاء مؤلفة من القريدس المنقوع بعصير الحامض كمقبلات، اما الوجبة الأساسية فكانت مؤلفة من شرائح اللحم

المطبوخة مع البطاطا والجبنة. والتحلية كانت من فاكهة الأدغال: الشيريموبا، وهي كناية عن فاكهة، قشرتها خضراء وداخلها أبيض وطعمها يذكر بطعم الفراولة والأناناس والدراق، كلها معاً.

كان الحديث يدور حول الفن والرسم بشكل خاص. نادراً ما كانت روزا تتدخل في الحديث. ومرّات عديدة، خلال العشاء، كانت ديانا تنظر في اتجاهها. وكل مرّة كانت تراها تحدق فيها باستمرار.

شعرت ديانا ببعض الانزعاج امام صمت الفتاة. ربما لأنها لا تتكلم اللغة الانكليزية بطلاقة وتشعر بصعوبة التعبير عما تريد قوله. لكن ديانا لاحظت ان والدها لويس لا يبذل اي جهد ليجعل ابنته تشترك في الحديث. لو كان والدها كريستوفر لتصرف تصرفاً مغايراً. وادركت ديانا ان روزا ضحية كبرياء لويس. كم هو مختلف تماماً عن شقيقته ماريا، تلك المرأة الكريمة، الدافئة والمضيافة. وشيئاً فشيئاً قررت ديانا الحذر من هذا الانسان الفظ.

حاولت ديانا ايجاد موضوع لتتحدث مع روزا، فقالت لها اخيراً:

«لقد اتيحت لي فرصة قضاء بعض الوقت مع عمتك ماريا وابنها رامون. قالت لي ماريا انك كنت تسكنين معها عندما كان زوجي يقضي فترة النقاهة في منزلها».

«كيف؟»

قالتها باللغة الاسبانية. ثم اصفر وجهها والقت بنظرة يأس الى والدها، كأنها تسأله ان يشرح لها. لكن لويس بقي جامداً من دون ان يتكلم. وراحت روزا تشبك يديها ببعضهما في توتر بالغ وقالت بعد جهد كبير:

«اني لا افهم، من هو زوجك؟»

وفوجئت ديانا بدورها. وابتسم لويس بسخرية وقال:

«نسيت ان الفظ اسم عائلتك عندما عرفتك على روزا».

التفت صوب ابنته وكلمها في لغة اسبانية سريعة. ولم تسمع ديانا الاّ انه لفظ كلمتين: ديانا و جايسون.

واكفهر وجه روزا. القى لويس بجملة قصيرة وملحّة الى ابنته في لهجة قاسية، مما جعلها على وشك البكاء. وفجأة، بلا تحذير، التقطت كوب العصير وقذفته في وجه والدها. فابتعد لويس بسرعة ووقعت الكأس على السجادة من دون أن تصيبه. انما لطخته بعض النقط المتساقطة منها. ومن دون قلق، امسك بمحرمة بيضاء وخاطب روزا بلهجة حادة، فانفجرت بالبكاء، ووقفت فجأة وخرجت بسرعة فائقة.

قال لويس وكأن شيئاً لم يحصل:

«أرجوك ان تعذري روزا على تصرفها هذا. فهي شديدة التوتر في هذه الأيام. اني اقترح ان نعود الى غرفة الاستقبال ونتناول القهوة. سأريك بعض اللوحات التي حدثتك عنها. حسب رأيي، تظهر هذه اللوحات بدقة العنف والوحشية الراكدة وراء الحياة الهادئة ظاهرياً، في الأكوادور».

وبرغم ما حدث كان لويس يبدو محافظاً على برودة اعصابه. لكن ديانا بدت قلقة، اذ عليها ان تمضي بقية السهرة وحدها برفقته. إلاّ انها دخلت غرفة الاستقبال متظاهرة بالهدوء.

كانت السيدة ماتريلو في انتظارها. وراحت تعاتبه باللغة الاسبانية. وكان لويس يصغي اليها بهدوء، ثم راح يتكلم بدوره بلهجة قاسية، جعلت ديانا تنحاز الى الخادمة. لكن سرعان ما غيّرت رأيها لأن في اللحظة التالية، التفتت السيدة ماتريلو نحوها والقت اليها نظرة قاسية ووجهت اليها كلمات كأنها شتائم. ثم استدارت

واختفت وهي تصفق الباب وراءها.

قال لويس:

«اني اسف جداً لتصرف الخادمة. ان السيدة ماتريلو تهتم بروزا منذ وفاة والدتها، أي منذ كانت روزا فتاة صغيرة. لقد ربتها كأنها ابنتها، وهي دائماً تقف الى جانبها اذا هاجمها احد.»

وسألت ديانا بتعجب:

«لكني لا أرى لماذا اعتبرتني اهاجمها. لم اكن اتحدث إلاّ عن جايسون!»

ابتسم لويس وأشار الى الصينية الموضوعة على الطاولة بقربها:

«ارجوك ان تقدمي القهوة اولاً، ثم اشرح لك لماذا أثار اسم زوجك البلبلة في قلب ابنتي الى هذه الدرجة.»

تناولت ديانا غلاية القهوة الفضية وقدمت القهوة في فناجين صغيرة من الكريستال. واقترب لويس منها وجلس قربها على المقعد الواسع، فتمنت ديانا لو انها تنبهت للأمر وجلست في مقعد منفرد.

«هل يزعجك اذا دخنت السيكار؟ الآن هو افضل اوقات السهرة. قهوة لذيذة الطعم وسيكار ذو رائحة عطرة، وامرأة شابة جذابة ورائعة مثلك. هل سبق وسمعت احداً يقول لك انك امرأة جميلة، يا ديانا؟ انك تتمتعين بجمال بارد تتميز به النساء الانكليزيات.»

انحنت ديانا الى الأمام وتناولت فنجان القهوة عن الطاولة المنخفضة وانتهزت هذه الفرصة للابتعاد عنه بعض الشيء. ثم اجابت تقول:

«والآن، ارجو ان تشرح لي لماذا شعرت روزا بالاضطراب حيال سماعها كلمة جايسون».

«آه، نعم، بالطبع. كانت في حالة توتر غريب، اليس كذلك؟ من زمان وانا أحاول ان اعرف حقيقة احاسيسها، وتصرفها الليلة أفادني أكثر مما كنت اتصوّر. انها واقعة في غرام جايسون، لكنها لم تكن على علم انه متزوج. انه موقف حرج، بالنسبة اليها، أليس كذلك؟»

روزا مغرمة بجايسون! شعرت ديانا باضطراب لما يمكن ان ينتج عن ذلك. كانت على حق عندما تصورت ان جايسون لابدّ وأنه تعرف الى امرأة اخرى؟ انه وقع هو أيضا في غرامها؟ لكن، هل هو فعلاً مغرم بها؟ وراحت يد ديانا ترتجف وهي تضع فنجان القهوة على الطاولة بقربها. لكنها تمكنت من الاحتفاظ بالهدوء، وقالت:

«لا بدّ وانك تمزح!»

«ابداً، سأشرح لك، منذ سنتين، وانا أتوقع من روزا ان تتزوج صديق طفولتها ارتورو غوميز. انه زواج يوافقني تماماً، كما يوافق أهل ارتورو، لأنه سيؤدي الى اتحاد عائلتين غنيتين. وحالياً يدرس ارتورو في الولايات المتحدة الاميركية، لكنه سيعود قريباً. ونحن نرغب ان يتمّ هذا الزواج خلال شهر. اردت مناقشة الوضع مع روزا، لكنها قالت لي بصراحة انها ترفض الزواج من ارتورو لأنها تحب رجلا آخر».

عاد يحتسي قهوته وعلى شفتيه ابتسامة حزينة ثم تابع يقول:

«سألتها مرّات عديدة، من يكون ذلك الرجل الذي تحبه، لكنني لم أتوصل الى معرفة هويته. كان عندي بعض الشكوك، لكني لم اكن املك اية ادلة تؤكد شكوكي... الاّ اليوم، اي منذ ان التقيت بك...»

«اذن طلبت مني المجيء الى هنا، عمداً، لكي...»

توقفت ديانا عن الكلام، غير قادرة على اكمال جملتها.

فأسرع لويس يقول وفي عينيه نظرة استهزاء:

«لأعرف الحقيقة بوجودك؟ طبعاً. ونفذت خطتي بحذافيرها. والآن، اني متأكد تماماً ان الرجل الذي تحبه هو جايسون بالذات. وانت يا ديانا، الم تشكي بشيء؟ ألم يخبرك جايسون بذلك؟»

«كلا، كل ما اعرفه، ان روزا كانت تسكن عند ماريا سواريز خلال فترة النقاهة التي قضاها جايسون في منزلها.»

«نعم، وهناك بدأت القصة، وللأسف كنت في هذه الفترة مسافراً. ومن السهل التكهن بما حصل. كان جايسون في نظر روزا، البطل الذي خاطر بحياته لينقذ رجلاً آخر. كما انه اصيب بجروح بالغة من جراء مخاطرته هذه. وكانت حاضرة هناك، ليل نهار، لتنقذه بدورها. هل يمكنك ان تتصوري وضعاً أكثر عاطفية من هذا؟ وزيادة على ذلك، ان جايسون يختلف اختلافاً تاماً عن الرجال الذين تعرفت اليهم من قبل. انه قوي، ورصين ومتحفظ كان بالنسبة اليها عملاقاً أشقر، قوي البنية وجميل الوجه. في أي حال، هكذا كانت تراه. انها ما زالت في التاسعة عشرة من عمرها. وانت لا تكبرينها كثيراً. ويمكنك ان تتصوري ما يمكن ان يكون قد حصل بينهما. ربما كنت تشعرين بالماضي امام جايسون بالأحاسيس نفسها. وربما أحببت جايسون بالطريقة نفسها».

«اني ما زلت احبه بالطريقة نفسها.».

هكذا حدثت ديانا نفسها من دون ان تجرؤ على البوح بذلك.

وتابع يقول:

«لا بدّ من الاعتراف باني شعرت بخيبة أمل عندما اخبرتني ماريا ان جايسون رجل متزوج. ولا أفهم لماذا لم يخبر الجميع بذلك من قبل. عندما تعرفت اليه في كيتو، دعوته لقضاء بضعة أيام هنا، في المزرعة. وقبل دعوتي، لكنه لم يتمكن من البقاء مدة أطول، بسبب

كثرة أعماله في تلك الفترة بالذات. وبعد رحيله، لاحظت ان روزا كانت حزينة، وحالمة ومنعزلة. وهنا بدأت الشكوك تراودني»

وضع لويس فنجانه على الطاولة والتفت نحو ديانا الجالسة في قربه وقال:

«والآن بعدما اخبرتك لماذا كانت روزا مضطربة خلال العشاء، ماذا تنوين ان تفعلي؟»

«ماذا افعل؟ ماذا تريدني ان افعل؟»

«ربما تريدين الطلاق؟ وفي هذه الحال سيكون جايسون انساناً حرّاً ليتزوج من جديد، مما يسعد ذلك روزا».

«لكن، ليست في نيتي الطلاق. ما الذي يجعلك تفكر في ذلك؟»

«قالت لي شقيقتي ماريا انك لم تري جايسون منذ أكثر من سنة. وبرغم ما قلت لي في السيارة، انكما زوجان عصريان لاحظت انه منذ وصولك الى الأكوادور، لم تتوصلا بعد الى الاتفاق. والاّ لما تركك وحدك منذ وصولك الى بونو. ولما كنت تبدين حزينة هكذا، تشبهين امرأة محرومة من الحب منذ زمن بعيد».

كان قد اقترب منها تماماً. وشعرت ديانا بيده تداعب كتفيها. ارتجفت ثم سيطرت على شعورها وتناولت حقيبة يدها ونهضت واقفة وراحت تتثاءب وتقول بصوتها الناعم:

«آسفة لأني سأخيب آمالك، يا سيدي. لكن كل ما تقوله الآن، لا يعكس سوى رأيك الخاص. لا تنس انك من جيل آخر. فكيف تريد ان تفهم زواجاً كزواجنا؟ والآن، اذا سمحت، سأذهب الى النوم، اني شديدة التعب، ولا شك ان السبب هو تبدل المناخ، وآمل ان تكون روزا في حالة أفضل غداً. تصبح على خير، يا سيدي».

وغادرت ديانا الغرفة قبل ان يتسنى له الوقت للوقوف لمرافقتها.

كانت متأكدة انه يود ان يبقيها معه. صعدت السلم بخطوات كبيرة ودخلت الى غرفتها واغلقت الباب وراءها واسندت جسمها الى الباب وهي تلهث. بحثت عن القفل، لكن لم يكن هناك مفتاح. وتساءلت بعصبية ماذا يمكنها ان تضع على الباب لتسنده به. لم تشك لحظة واحدة ان لويس غيبارمو يمكن ان يدخل الى غرفتها من دون طرق الباب والحصول على اذن، اذا كان هذا ما يريد.

شاهدت صندوقاً صغيراً مخصصاً لوضع الثياب القذرة المعدة للغسيل. فالصقته بالباب. لم يكن ثقيلاً لكنه يصمد قليلاً مما يجعلها حاضرة لأي حركة مفاجئة.

جلست على حافة السرير تحاول ان تهدىء من توترها. ليس في وسعها وهي في هذه الحال ان تخلد الى النوم. راحت تصغي السمع منتظرة في أي لحظة سماع أصوات خطوات تقترب.

بقيت على هذه الحال لفترة طويلة. وراحت تتساءل كيف تستطيع الهرب من المزرعة والعودة الى كيتو غداً.

وحوالى منتصف الليل، ارهقها التعب والتوتر، فقررت ان تنام.

لكنها شعرت بأنه من الصعب ان تنام بسهولة. وراحت تتساءل: ما هي في الحقيقة مشاعر جايسون تجاه روزا؟ هل صحيح انه وقع في غرام تلك الفتاة التي اهتمت به خلال فترة الاستجمام في منزل ماريا؟ هذا ممكن. ذلك ان روزا تشبهها كثيراً. انها يتيمة الأم مثلها. وسبق ان قرأت ديانا مقالاً يقول ان الرجل يقع دائماً في غرام النساء اللواتي من النوع نفسه.

يجب ان تعود الى بونو في أسرع ما يمكن. يجب ان تكون هناك عندما يعود جايسون من الأدغال. وهكذا يمكنها ان تطلب منه ان يختار بينها وبين روزا. ولا شك انها الطريقة الوحيدة لوضع الأمور

في نصابها.

وبعد سلسلة من التساؤلات والكوابيس، خلدت ديانا الى نوم عميق. واذا بها تسمع في نومها طرقات على الباب وصوتاً يناديها. انتفضت ونظرت الى الباب.

«سيدتي، سيدتي، ماذا يجري؟ ان بابك لا ينفتح!»

وتعرفت ديانا الى صوت روزا فقفزت خارج السرير وراحت تفتح الباب. فدخلت روزا ترتدي بنطلوناً من الجينز الضيق وقميصاً من القطن الأبيض وتحمل صينية في يديها.

«صباح الخير، يا سيدتي. اني اجلب لك فطور الصباح».

كانت تبتسم بفتور وتقول كما لو ان احداً يلقنها ما يجب ان تقول:

«اني أسفة لتصرفي الوقح أمس، هل تسامحينني؟»

«طبعاً اسامحك. شكراً لك لأنك أحضرت الفطور، فهذا لطف منك. لقد نمت طويلاً. ولا بدّ أنني تأخرت. كم الساعة الآن؟»

«العاشرة والنصف. كان جايسون ينام في هذه الغرفة، عندما كان يسكن عندنا. وكنت اجلب له الترويقة حتى السرير، احياناً».

حاولت ديانا ألاّ تفكر بمشهد جايسون في الصباح عندما ينهض من النوم، بشعره المشعث وعينيه الناعستين، وصدره العاري وعضلاته الظاهرة.

قالت ديانا من دون اضطراب:

«وأنا أيضاً، احضر له فطور الصباح الى السرير، أحياناً».

لو كان جايسون معها الآن، بقربها في السرير، لما تصرفت روزا بهذه الوقاحة!

«لقد اعتقدت انك عشيقة والدي الجديدة، عندما شاهدتك تصلين معه. هل أنت حقاً عشيقته الجديدة؟»

«كلا. ابداً. لماذا. هل يصطحب عشيقاته معه الى البيت؟»

«نعم. دائماً. منذ وفاة والدتي وربما قبل ذلك أيضاً. هو هكذا. لقد طلب مني ان اعتذر منك، لأنه غير قادر ان يقضي النهار معك. فهو مضطر الى الذهاب الى بونو لقضاء بعض الأعمال. أتحبين رؤية المنزل والمزرعة؟ يمكننا التنزه على ظهر الحمار».

«عظيم!»

«حسناً. سأهتم بالأمر. يجب ان نذهب قبل الظهر، فبعد ذلك، يصبح الحرّ شديداً وغير محتمل».

ثم أضافت بغتة:

«كيف تجدين حديثي باللغة الانكليزية؟»

«جيد جداً».

«لقد علمني جايسون الانكليزية. سأكون في انتظارك بعد قليل...»

ابتسمت روزا ثم خرجت من الغرفة وبقيت ديانا تحدق بالباب المقفل لا تريد إلاّ أمرا واحداً: ان تمسك بشيء ما وتحطمه. لكنها تمالكت اعصابها واحتست جرعة من القهوة الساخنة وهي تقول ان روزا تتمتع بقدرة هائلة لتجعلها في غيرة كبيرة. كان يكفي ان تنطق بهذه الكلمات...

وفهمت ديانا في هذه اللحظة بالذات كم كانت سريعة العطب لكل ما يتعلق بجايسون. بسبب كلمات اونيس، ورسالة من امرأة مجهولة تدعى كارول، وكلمات روزا الجارحة، جعلتها انسانة غيورة وتعيسة.

وفهمت أيضاً ان هذا هو الثمن الذي سوف تدفعه لأنها تزوجت من رجل جذاب. لكن اذا كانت ترغب في المحافظة على زواجها، واذا ارادت ان تمضي بقية حياتها معه، فان عليها ان تتعلم ان تضبط نفسها

أكثر.

وانتهت بسرعة من تناول فطور الصباح، ثم أخذت حماماً سريعاً وارتدت ثيابها ونزلت الى ساحة البيت للأنضمام الى روزا التي كانت في انتظارها. والشاب الذي قدم لها العشاء البارحة، ساعدهما على امتطاء حمارين صغيرين. ثم انطلقا.

لاحظت ديانا ان روزا فتاة رائعة، ترتدي قبعة من القش على رأسها لحمايته من الشمس اللاهبة. شعرها الطويل مجدل حتى خصرها.

كان الجوّ مثقلاً ينذر بهبوب عاصفة. لكن النزهة على ظهر الحمار كانت رائعة. وكان الحيوان يعرف الطريق جيداً، لذا فكان من غير الضروري محاولة توجيهه.

وصلتا امام أشجار البرتقال والليمون الحامض. وكانت الثمار تشكل بقعاً ذات ألوان فاقعة على الأوراق الخضراء.

ثم دخلتا الى قلب الأدغال. من قريب كانت المزروعات تبدو أكثر جمالاً مما عليه من بعيد. وكانت ديانا تتعرف الى بعض النباتات، لكن كانت تجهل معظمها. وكانت جذوع الشجر مغطاة بالنباتات المتسلقة والحشائش والعرائش.

همست ديانا قائلة:

«آمل ألاّ نضيع الطريق».

أجابتها روزا:

«لا تخافي. أحمل بوصلة تقينا خطر الضياع. حتى الهنود أنفسهم يمكنهم ان يضلوا الطريق أحياناً. هل كل شيء على ما يرام؟»

هزت ديانا رأسها بالايجاب. فلن تقول لروزا أنها تشعر بالحرّ يلهب عظامها، وانها تتصبب عرقاً وأنها تكاد تختنق من شدة العطش.

كيف يمكن للباحثين عن البترول ان يعملوا في مثل هذه الظروف؟

وكيف يمكن لجايسون ان يتحمل هذا الحرّ الشديد؟ فليس من المستغرب انه يشعر بحاجة الى المجيء الى كيتو من وقت الى آخر للراحة والاستجمام.

وصلنا اخيراً الى مكان في الغابة حيث تجمعت بعض المنازل المبنية من خشب، ذات السقوف المصنوعة من أوراق الاشجار. وتوقفتا أمام احد المنازل، وقامت روزا بوضع قدميها على الأرض وقلدتها ديانا بذلك.

اقترحت روزا على ديانا قائلة:

«اتريدين رؤية منزل تابع لأحد الهنود الجيفارو. وهكذا يمكنك ان تخبري اصدقاءك بما رأيت عندما تعودين الى انكلترا؟»

وافقت ديانا وهي تلاحظ تلميحات روزا الماكرة.

في الداخل كان المنزل في منتهى النظافة. وربة المنزل امرأة ذات جمال مدهش. ملامحها تحمل علامات نبل وتدل على انتمائها الى قبيلة أصيلة، لا خليط قبائل أخرى فيها. وقد دعتهما لير يا طفلها النائم في مهد عصري، على غير ما كان يتوقع. ولاحظت ديانا وجود اشياء حديثة داخل المنزل، من بينها الأدوات المطبخية والطناجر النحاسية الجديدة. كما عرض عليها صبيّ صغير سلاح «الانبوبة»، وراحت روزا تشرح لديانا كيفية استعماله.

«نغمس الرأس في السم الذي يصنعه الهنود بانفسهم. وعندما يصيب السهم الحيوان، يحاول هذا الاخير ان يتخلص من السهم الذي ينكسر حده ويموت الحيوان على الفور. انه اختراع عجيب، أليس كذلك؟»

بعد زيارة قصيرة للمنزل الهندي، عادتا الى التنزّه في الغابة. ومرّة اخرى رشقتها روزا بمكر بملاحظة اخرى:

« جايسون وأنا، غالباً ما كنا نقوم بنزهات على ظهر الحمار. كانت

قدما جايسون تلامسان الأرض من شدة طولها، وكنا نضحك من ذلك كثيراً».

أخذت ديانا تشدّ على اسنانها، مصممة على الاّ تدع روزا تزعجها بهذه الملاحظةالقاسية. وشعرت بأن روزا تراقبها وتتجسس عليها. ولذلك كانت مصرة الاّ تبدر منها أية اشارة ضعف أمامها.

وفجأة قالت روزا:

«لم يقل لي جايسون انه متزوج. اخبرتني عمتي انه انسان تعيس جداً لأن أحدهم اساء اليه. وأعتقد ان الشخص الذي اساء هو أنت. أنا أعزف على القيثارة. وكنت أعزف له مراراً. فهو يحب الموسيقى، وهذا من النادر رؤيته عند من يتمتع برجولة بارزة مثله. وهو، كان يعلمني اللغة الانكليزية».

توقفت لحظة عن الكلام، ثم تابعت:

«وعندما سكن في المزرعة، هنا، كنا نقوم سوية بنزهات طويلة. وكنا نمضي فترات مرحة. وأعتقد انه وجد السعادة برفقتي. قلت له اني أحبه وأريده ان يكون زوجاً لي».

سألت ديانا وقد تشنجت يدها على اللجام:

«وماذا أجابك؟»

«لا شيء، رحل. والآن وقد تعرفت عليك، فهمت السبب. لم يكن في وسعه أن يتزوجني ما دام متزوجاً منك. هل جئت الى الأكوادور لتتفاوضي معه على الطلاق؟»

«كلا!»

«لماذا، اذن؟»

أجابتها ديانا بصوت ثابت:

«من أجل... من أجل ان اراه، وأكون معه»

«اني لا افهم. واذا كنت تريدين ان تكوني مع جايسون، لماذا جئت اذن الى هنا مع والدي؟»

«لأنه دعاني لأزور المزرعة وأتعرف عليك».

وفجأة لمحت ديانا شكلاً أخضر اللون بين الأوراق، يتحرك بسرعة، ويقترب منها. وعرفت ديانا انها حيّة. عصافير البغاء تطايرت بسرعة، وراحت السعادين والقرود تطلق اصواتاً ثاقبة. ثم عاد الصمت واختفت الحيّة.

بدأت ديانا تتضايق من رفقة روزا، لكنها سرعان ما شعرت بالارتياح عندما لاحظت أنها وصلت الى طرف الأدغال. وانفتح امامها حقل من قصب السكر، تحت شمس لاهبة. ومن بعيد، كان المنزل يلمع تحت اضواء مترجرجة، مثل السراب.

سألتها روزا:

«هل صدقت والدي؟»

«طبعاً، ولماذا لا اصدقه؟ في كل حال، لقد دعاني لزيارة المزرعة أمام والدي. ورأى والدي انها فكرة جيدة ان ازور المزرعة واتعرف الى فتاة في مثل عمري».

وراحت روزا تقهقه وتظهر اسنانها البيضاء المغروزة جيداً في فكيها.

«تماماً ما يميّز والدي، انه رجل ذكي وخبيث. لكن اذا كنت تعتقدين ان ذلك هو السبب الوحيد الذي من اجله دعاك الى هنا، تكونين حمقاء أكثر مما كنت اتصوّر. انه يريدك ان تكوني عشيقته الجديدة، لأني لاحظت كيف كان ينظر اليك مساء البارحة، عندما كان يحدثك عن الرسم...»

أجابتها ديانا بنبرة حادة:

«اذن، احب ان اعلمك انه ليس في نيتي ان أكون عشيقته، فهو في

سن والدي».

«هذا لا يهمه ابداً».

«نعم، لكن ذلك لا يهمني أنا. اوف! اني سعيدة جداً اننا ابتعدنا عن الأدغال. كنا كأننا في حمام بخار».

«نعم. الطقس حار جداً اليوم، وينبىء بعاصفة، في نهاية النهار. لماذا تغيّرين الحديث. اني لا أفهم لماذا جئت الى هنا بينما تزعمين انك تريدين البقاء قرب جايسون».

أجابتها ديانا بصوت متوتر:

« جايسون يعمل حالياً في أماكن حديثة حيث يتم التنقيب عن النفط. ولا يمكنني مرافقته الى حيث يعمل. ليس لأننا متزوجين يعني ان علينا ان نكون معاً طيلة الوقت. ومن جهة ثانية، هذا لا يعني ايضاً أننا لا نريد ان نكون معاً».

ثم عادت روزا لتقول وهي تهز كتفيها:

«لكن أنا لا أفهم. لو انني وجايسون متزوجان لحاولت ألاّ نفترق ابداً...»

أجابت ديانا بلهجة حادة:

«هذا يعني انك لا تعرفين جايسون جيداً. يمكنك ان تحاولي، لكن ذلك لن يغيّر شيئاً. لا أحد يجبره ان يكون في أي مكان اذا لم يكن يرغب في ذلك».

ألقت روزا بنظرة قاسية وحركت حمارها وكأنها تريد ان تسد الطريق على ديانا. قالت بلهجة انتصار:

«تقولين اني لا أعرف جايسون معرفة كافية. في كل حال ان ما أعرفه هو أنه سيكرهك عندما يعرف انك زرت المزرعة. فهو يعرف جيداً صيت والدي وسيعتقد بأنك أصبحت عشيقة لويس غيبارمو.

وسيطلب منك الطلاق فوراً».

أجابتها ديانا في ضجر:

«توقفي عن هذا التصرف الصبياني. لقد تعرفت الى والدك فقط منذ البارحة، ولم أمض هنا سوى ليلة واحدة...»

«وستمضين غيرها من الليالي. قال لي أبي انك ستبقين هنا هذه الليلة أيضاً، وربما ليالي أخرى».

«كلا، سأعود الى بونو في أسرع ما يمكن».

وسألتها روزا في لهجة ساخرة:

«وكيف ستعودين الى بونو؟»

«سيارة والدك ستوصلني، كما جاءت بي الى هنا».

شعرت ديانا فجأة بحكاك في خصرها، وتذكرت نصائح الطبيب: ربما يكون ذلك مقدمة لارتفاع حرارتها. عليها ان تأخذ حماماً في الحال لئلا تصاب بأي مرض خلال اقامتها في المزرعة.

وقالت روزا وهي ترسم ابتسامة شريرة:

«لا تغادري المزرعة إلاّ اذا أمر والدي بذلك».

«ماذا تعنين بهذا؟»

«لن تعودي الى بونو اذا لم يأمر والدي السائق جوزيه كي يوصلك، وأعرف أنه لن يقوم بذلك اليوم، لأنه قبل ذهابه هذا الصباح، قال لي أنك باقية معنا اليوم أيضاً. وقال لجوزيه ألاّ يصطحبك الى بونو. وأعتقد انه من الصعب عليك العودة على ظهر الحمار، يا سيدتي».

وضحكت روزا بسخرية واستدارت مع حمارها وابتعدت.

عندما وصلت ديانا الى ساحة المنزل، كانت مرهقة جداً يتصبب العرق منها بغزارة. نزلت عن الحمار ورأت سيارة الكاديلاك تدخل الساحة. أنزلت السيدة ماتريللو بعض الأغراض بمساعدة جوزيه،

الذي قادها الى بونو.

دخلت ديانا تواً الى غرفة الحمام بعد ان ملأت المغطس بالماء الفاتر، فاغتسلت وجففت جسمها بعناية.

هل تكون سجينة في المزرعة؟ ان مجرّد التفكير بالأمر جعلها ترتجف كأن موجة باردة اجتاحتها برغم الحرّ الشديد.

هي حقاًسجينة اذا صحّ كلام روزا ان لويس غيبارمو منع السائق من إيصالها الى بونو.

لكن، عليها ان تعود الى بونو بأي ثمن وفي اسرع ما يمكن، حتى تكون هناك عندما يعود جايسون، لتراه من جديد وتتكلم معه، كيلا ينفذ تهديده.

لقد كانت عيناها مسمرتين في سقف الغرفة وهي تتساءل عن الطريقة التي تعود بها الى بونو، غير استخدام الحمار!

٦ ـ الهرب والعاصفة

وفجأة وجدت الحل. خطرت لها فكرة جهنمية ايقظتها من غفلتها، وانتصبت وقلبها يخفق بشدة. هل هذا معقول؟ هل تجرؤ على تنفيذ هذا المخطط؟

طبعاً، انه الحل الوحيد. واذا فشلت خطتها، تكون قد نجحت في جعل سكان المزرعة يعرفون الى أي درجة تصرّ على العودة الى بونو.

انها غير مستعدة لتحمّل فكرة ان تكون سجينة. ولهذا السبب، وضعت خطة لهربها. نزلت من سريرها، وخلعت مئزرها وارتدت فستاناً من القطن.

ثم مشطت شعرها ووضعت بعض المساحيق على وجهها. ووضعت ملابسها واغراضها في حقيبتها. ثم وضعت الحقيبة في الخزانة. ربما لن ترى ملابسها مرّة اخرى. شعرت بلحظة ندم أمام فكرة ضياع ملابسها، لكنها أدركت ان لويس غيبارمو ليس لصاً ولن يعاقبها لأنها غادرت منزله سراً.

حملت حقيبة يدها وفتحت الباب وخرجت الى الممشى ولم تلتق احداً وهي تتوجه نحو السلم.

عندما وصلت الى السلم، توقفت وألقت نظرة خاطفة على المدخل. كان خالياً. المنزل يسوده السكوت كان الوقت ليلاً. وتساءلت ديانا ما اذا كان الجميع يأخذون قسطاً من الراحة في وقت القيلولة. نزلت

السلم بهدوء وتوجهت نحو قاعة الاستقبال. اذا فاجأها أحد، فيمكنها ان تقول انها كانت تتأمل لوحات السيد لويس غيبارمو.

وكما توقعت كانت سيارة الكاديلاك لا تزال في الساحة.

وجلست في كرسي ونظرت الى ساعتها. سيصل جوزيه بعد دقائق وسيتوجه الى بونو لاصطحاب لويس الى المزرعة.

نهضت ديانا ووصلت الى الباب وفتحته. لا احد في الساحة. لكن الخطر الوحيد هو ان تراها روزا أو السيدة ماتريللو من احدى النوافذ...واسفاه! لكن هذا لن يمنعها من القيام بهذه المحاولة.

واجتازت الساحة على رأس اصابعها. كان الجو رطباً وخانقاً. انه الهدوء الذي يسبق العاصفة. وصلت أمام السيارة، وضعت يدها على مسكة الباب وفتحته من دون ضجة. ودخلت في المقعد الخلفي، واغلقت الباب بهدوء، ثم استعادت تنفسها وحاولت مراقبة دقات قلبها، ثم تمددت في أرض السيارة. تقوقعت على نفسها وانتظرت.

فجأة، سمعت أصوات خطوات وكلام بالاسبانية. ثم انفتح الباب من جهة السائق. وجلس جوزيه أمام مقود السيارة فسمعت ديانا صرير الكرسي ثم انغلق الباب. وسمعت أصوات المفاتيح. أقلعت السيارة وصوت المحرك يدوي بقوة.

سارت السيارة على الرمال ثم على الحصى، ودخلت الطريق المؤدية الى الشارع الرئيسي.

حاولت ديانا جاهدة التنفس من دون احداث أية ضجة. نجحت خطتها وهي الآن في طريقها الى بونو. وبحذر واحتياط حاولت اتخاذ جلسة مريحة، لكنها ظلت تشعر برجيج العجلات واهتزاز السيارة. ومرت السيارة فوق ثقب في الطريق واضطرت ديانا لأن تعض على شفتيها كيلا تصرخ.

وما ان وصلت السيارة الى الطريق الرئيسية حتى اسرعت. وبالتالي خفت عدة الارتجاجات وتمكنت ديانا من الجلوس بطريقة مريحة بعض الشيء. وكانت تعرف ان الطريق سيستغرق اجتيازه نصف ساعة تقريباً. وكي تتحاشى الاصابة بتشنج، توصلت الى ارخاء قدميها بعض الشيء. حتى الآن، كل شيء يجري حسب الخطة المرسومة.

لكن بعدما تصل الى بونو، ماذا ستفعل؟ ادركت انها لم تفكّر في ذلك من قبل. فلم يكن لديها سوى فكرة ثابتة وهي مغادرة المزرعة. هل في امكانها ان تغادر السيّارة من دون ان ينتبه لها السائق؟ انها تشك في ذلك. لكن ماذا لو سمعها؟ هل سيؤدي ذلك الى نسف خطتها؟ ومتى خرجت من السيارة، كيف ستجد طريقها الى الفندق؟

لم تكن بونو مدينة كبيرة. يمكنها ان تسأل احد المارة فيدلها الى الطريق. وحتى لو حاول لويس غيبارمو اللحاق بها في الشارع، فلن يستطيع خطفها أمام الناس.

هل هي متأكدة من ان ذلك لن يحدث؟ في كل حال، الأكوادور، مثل معظم بلدان اميركا الجنوبية اللاتينية، بلد غريب. وتعتبر الحوادث غير المألوفة كأنها حوادث عادية جداً. فاذا اقتربت منها سيارة تمر في الشارع، وقفز منها رجل واقتادها الى داخلها. فالجميع ينظرون الى ما حدث كأنه شيء عادي وتافه.

وقررت في النهاية ألاّ تترك لمخيلتها العنان. كل شيء يأتي في وقته ويمكنها ان تنتظر المشاكل حتى تقع وتحاول حلها.

انعطفت السيارة في كوع حاد وادركت ديانا ان السيارة اجتازت جسراً ولن يبقى امامها سوى جسرين لتقترب من مدينة بونو. شعرت بقشعريرة برد. ذلك ان مكيّف الهواء يعمل باستمرار داخل السيارة الفخمة.

ماذا ستكون ردة فعل جايسون عندما تطلعه ديانا على مغامرتها الصغيرة هذه؟ هل سيضحك؟ هل سيكون في بونو لتخبره قصتها هذه؟ آه، انها تأمل ذلك من كل قلبها! أراحت رأسها على ركبتيها وراحت تحلم بأن تراه في الفندق لدى وصولها. اذا كان هناك فلا بدّ انه قرأ رسالتها وسيفاجأ اذ يراها تعود بهذه السرعة؟ هل سيكون سعيداً لرؤيتها؟ هل سيكون مستعداً للتنازل عن عنفوانها ويأخذها بين ذراعيه ويعانقها؟ هل سيكون مستعداً لأن يحبها من جديد بقدر ما هي تحبه؟ آه، انها تأمل ذلك من كل قلبها!

قطعت السيارة الجسر الأخير واتجهت نحو الطريق المنحدرة التي تصل بها الى بونو. كانت الكيلومترات الباقية تبدو وكأنها اطول من دهر.

اخيراً وصلت السيارة الى المدينة. ومن مخبأها كانت ديانا تراقب سقوف المنازل. دخلت السيارة عبر الطريق الضيقة وأخيراً توقفت. وعرفت ديانا ان السيارة وصلت أمام معمل لويس غيبارمو.

راح السائق يصفر لحناً لم يتوقف لحظة عن ترديده طول الطريق. وقد حفظت ديانا اللحن وهي متأكدة انها لن تنساه أبداً. انتظرت، لا تعرف ماذا تفعل. وبعد دقائق بدت طويلة، فتح جوزيه الباب وخرج ثم اقفله وراءه وابتعد عن السيارة.

رفعت ديانا رأسها قليلاً ونظرت الى الخارج. رأت رجالا يخرجون من المعمل. وشيئاً فشيئاً تمكنت من النهوض من مخبأها وشعرت بألم حاد في قدميها. فتحت الباب بسرعة ومن دون ان تلتفت الى الوراء لترى ما اذا كان جوزيه قد شاهدها، خرجت واقفلت الباب وراءها واختلطت بالمارة وبالعمال.

وبسرعة وصلت الى الطريق العام وعرفت انها ليست في حاجة لأن تسأل احداً كي يدلها الى الطريق للوصول الى الفندق. كانت فرحة

جداً لنجاح خطتها وراحت تسرع الخطى غير مصدقة أنها ستصل الى الفندق.

الغيوم الرمادية تتكدس في السماء. والمدينة تغرق في العتمة والعاصفة تقترب.

وفي سوق الخضار، نفدت بضائع الباعة الهنود بسرعة. سيارات الجيب التابعة للشركة النفطية تتوقف أمام الحانة. والرجال ببذلات العمل ينزلون منها ويندفعون داخل المقهى.

عندما رأت ديانا الكنيسة القديمة عرفت أنها أصبحت قريبة جداً من الفندق. راحت تحث خطاها ووصلت أمام الساحة وصعدت السلالم القليلة التي تؤدي بها الى مدخل الفندق. وكان على شرفة الفندق عدد كبير من الرجال الجالسين أمام طاولاتهم يحتسون الشراب المنعش في هذا الطقس الحار. احدهم تحرش بديانا وأخذ يناديها بالاسبانية. وراح الجميع يقهقهون بأعلى الصوت.

كانت الغرفة مظلمة عندما دخلتها ديانا. أشعلت النور. وشعرت لتوها ان قواها تكاد تخور بعد هذا التوتر الذي رافقها طيلة رحلة الهروب. كانت ثيابها ملتصقة بجلدها بسبب العرق الذي تصبب منها وكان شعرها مبللاً. احتست كأساً من المياه المعدنية ولاحظت في تلك اللحظة ان الرسالة التي تركتها لجايسون اختفت.

نظرت حولها وشاهدت ثياب رجل معلقة في الغرفة.

لقد عاد جايسون!

راح قلبها يخفق بسرعة. ثم خلعت ملابسها في محاولة لتهدئة عصابها من شدة فرحها. بالنسبة الى الحاضر فهي لا تنتظر منه أي صرف حسن. اذ أن المشاكل بينهما لا تزال عالقة.

راحت تفتش في خزانتها عن فستان ترتديه. واذا بها تكتشف انه لم

يكن عندها اي شيء ترتديه. كل ملابسها بقيت في المزرعة. ولم تجد شيئاً تلبسه سوى ثوب السباحة الذي وجدته في احد الجوارير. انه اللباس المناسب في هذا الطقس الحار.

انفتح الباب. وظهر جايسون على عتبته، يرتدي قميصاً بيضاء وبنطلوناً قصيراً. كان يحمل في يديه زجاجة ماء، وكأساً وابريقاً مليئاً بعصير الفاكهة. أقفل الباب بضربة من قدمه ونظر اليها، وقال في استغراب:

«اهلاً، ما هذه المفاجأة. ما الذي جعلك تعودين بسرعة؟»

وضع الكأس على الطاولة وسكب فيها بعض العصير، ثم سألها في لامبالاة:

«أتريدين؟»

«ماذا تشرب؟»

«بعض العصير المثلج»

«نعم، أريده».

قال وهو يتمدد على السرير:

«ما عليك الاّ ان تسكبي لنفسك كأساً».

اخذت ديانا كأساً وهي تنظر اليه من زاوية عينيها. كانت كتفاه العريضتان تلمعان تحت ضوء القنديل الموضوع على الطاولة قرب السرير. وكان العرق يتصبب على جبينه.

شعرت ديانا ان وجودها قريبة منه يحرّضها. فابتعدت عنه بعض الشيء، ووقفت أمام النافذة.

كانت تشعر كلما اقتربت منه بجاذبية قوية من تأثير سحره الغريب. وهي لا تريد ان تجد نفسها في موضع ضعف. عليها ان تسيطر على نفسها. قاطع جايسون حبل تفكيرها وقال وهو يتثاءب:

«لم تجيبي عن سؤالي. لماذا عدت من المزرعة؟»

« لا راك».

«أتريدين أن أصدقك؟»

«هذه هي الحقيقة».

أجابها في استخفاف:

«هل انت متأكدة من ذلك؟»

لم تعرف ما تقول. نظرت اليه وجهاً لوجه، مما جعله يقول:

«أعتقد أننا نعرف جيداً هذه التمثيلية، لكن في المرّة الماضية كنت أنت التي لم تصدقيني عندما كنت أقول الحقيقة. والآن جاء دوري. ما هو موقفك حيال انسان يرفض أن يثق بك؟»

خيل اليها أنها تعيش كابوساً. تقدمت منه وسألته بخجل:

«هل قرأت الرسالة التي تركتها لك هنا قبل ذهابي؟»

أجاب ببرود:

«نعم قرأتها. وفهمت انك ذهبت تمضين بضعة أيام مع لويس غيبارمو. لكنني أرى الآن انك لم تصبري على انتظار عودتي».

«لكن قلت لك اني سأعود. كما أخبرتك انه يدعوك للحاق بنا».

نظر اليها بارتياب وسكب كأساً أخرى من دون ان يرد.

«آه يا جايسون ، لا اظنك تعتقد بأني... اني ذهبت معه لأنه يعجبني... هو وأنا... آه لا! يا لأفكارك الشريرة!»

عادت الى النافذة. كانت الحشرات تتطاير في كل الاتجاهات وتحاول الدخول الى الغرفة برغم وجود شريط يمنعها من ذلك. وعادت ديانا تقول في هدوء:

«أنت تعرف جيداً ان لويس لا يعني شيئاً بالنسبة اليّ. فلم أتعرف

اليه سوى البارحة».

«كل ما أعرف عنه انه يحب النساء ويغريهن برغم سنه. كما أعرف انه يختار عشيقاته من بين النساء الشابات والمتزوجات. يتجنب هكذا اتهامه بأغراء الفتيات الشابات، على ما اعتقد».

«اذن، عليك ان تعرف ان لويس لم يجذبني ولا لحظة. وليس بنيتي ان أكون عشيقته، ولا عشيقة أي انسان آخر. انا لا احبه. واليوم هربت من مزرعته حتى لا أمضي ليلة أخرى معه تحت سقف منزل واحد. وعدت كي اراك. أرجوك ان تصدق ما اقول».

أجابها جايسون بنبرة ساخرة:

«وماذا بعد؟»

وشعرت ديانا أنها واحدة من هذه الحشرات التي تحوم حول السياج قرب النافذة. فهي غير قادرة على عبور الحاجز. نظرت نحو الساحة وكانت الكنيسة مضاءة بالشموع. وكان المنظر مؤثراً للغاية.

فسألته ديانا:

«اما زلت لا تصدقني؟»

«لماذا يجب ان أصدقك؟ أنت قادرة على الكذب مثل ايّ امرأة اخرى. تنطقين بالكلمات بسهولة، ووراء الكلمات الكبيرة، فراغ كبير. مثلاً، غالباً ما قلت لي: احبك يا جايسون. لكن عندما وجدت نفسك أمام امتحان حقيقي، كنت غير قادرة على مجابهة الوضع. انك لم تحبيني، لم تحبي سوى فكرة ان تكوني زوجتي. كنت فخورة بزوجك، أمام صديقاتك».

توقف عن الكلام كأنه شعر بالاشمئزاز. وشعرت ديانا بالمرارة المتصاعدة من كلماته.

اشعل جايسون سيكارة فبادرته ديانا:

«لم تكن تدخن...»

«لم أكن ادخن عندما نكون معاً. وأنت استنتجت اني لا ادخن ابداً. انت مخطئة في ذلك وفي أمور أخرى عديدة. آه، انت تعتقدين اني ادخن لأنفس عن همومي او لأنسى شيئاً ما. في كل حال لست مخطئة تماماً. اني فعلاً أحاول أن انسى امرأ ما منذ بضعة أشهر لكني لا أدخن لهذا السبب».

«ماذا تحاول ان تنسى؟»

«امرأة كنت اعرفها».

سألته ديانا من دون ان تجرؤ على النظر اليه:

« وتدعى كارول؟»

فوجىء جايسون وقال في استغراب:

«كارول؟ من هي؟»

كانت مفاجأته صادقة. فاستعادت ديانا قليلاً من الأمل وأضافت وهي تلهو بخاتمها:

«انها المرأة التي قابلتها في باريس. لقد كتبت لك وطلبت منك الحضور».

سادت فترة من الصمت. ثم قال جايسون في هدوء:

«كيف عرفت ذلك؟ لم اخبرك شيئاً عنها».

عرفت ديانا ان ساعة الحقيقة دقت. في هذه الليلة ستتوضح الأمور بينها. وربما تمكنا من التوصل الى قرار يتعلق بمستقبلها.

«في اليوم الذي سافرت فيه الى هيوستن، سقطت رسالتها من جيب قميصك و...»

قال جايسون بهدوء:

«وقرأتها؟»

«نعم».

بقي جايسون صامتاً بعض الوقت، ثم قال في حدة جعلتها ترتجف:

«لماذا لم تخبريني بذلك، قبل رحيلي؟»

«لأن...لأني اعتقدت انك ستغضب مني وتتهمني بالتجسس عليك. آه يا جايسون، أتوسل اليك... اني أسفة لأني قرأت محتويات الرسالة، لكن يكفي ما قاسيت من عذاب، أرجوك لا تدعني أسقط في العذاب من جديد».

وضع جايسون رأسه بين يديه وقال:

«يا الهي، عندما افكر في الوقت الذي هدرناه...»

توقف وأخذ نفساً عميقاً ونظر الى عينيها وأضاف قائلاً:

«اذن، هذا ا هو السبب الذي جعلك لا تصدقيني».

هزت رأسها ايجاباً. كانت عاجزة عن الكلام وكان ينظر اليها كأنه يرغب في ان يصفعها.

«وجعلتني أعتقد ان السبب عائد لما قالته لك اونيس، لأنك كنت تثقين بها أكثر من ثقتك بي».

«وأنت أيضاً لم تكن تثق بي».

«من قال لك ذلك؟ غير صحيح».

«أنت... لقد قلت يوماً ان زواجاً كزواجنا يجب ان يستند على الثقة المتبادلة. لكن لو كنت تثق بي فعلاً، لكنت أخبرتني من تكون كارول ولماذا ذهبت اليها في باريس».

تنهد جايسون بعمق وقال بصوت واضح:

«حسناً... لنبدأ من جديد».

«حسناً».

وعرفت ديانا أنها أمام الفرصة المنتظرة وقالت:

«أيمكنك ان تقول لي من هي... كارول؟»

«ابنة خالي، هي من تكساس، انها أصغر بنات خالي بيل. عندما كنت أعيش معه، كنا دائماً معاً. وكارول بالنسبة إليّ بمثابة أختي الصغيرة».

تنهد جايسون بعمق قبل ان يتابع:

«انها تدرس في جامعة السوربون في باريس، لنيل شهادة الدكتوراه في اللغات. ولذلك فهي تسكن العاصمة الفرنسية. تريدين ان تعرفي لماذا ذهبت اليها».

همست ديانا في خجل وعدم ارتياح:

«اذا اردت ذلك، فلا مانع».

«كانت تمرّ بوضع حساس. حدث لها شيء، ولم تكن تريد ان يعرف به أحد. طلبت مني ان ازورها، لأنها كانت تعتبرني الانسان الوحيد الذي يمكنها ان تثق به. وما استطعت ان أخذلها وأرفض طلبها. وكنت آمل ان تكوني متفهمة».

تردد قليلاً ثم أضاف في صوت خفيض:

«لم أكن أعرفك جيداً».

ماذا يعني بذلك؟ هل يعتذر الآن لأنه لم يكن يثق بها تماماً ليخبرها عن كارول؟ او حتى لو كان يعرفها جيداً لما وثق بها كما يجب؟ لم تفهم ديانا جيداً ماذا يقصد، لكنها قررت ان تطلب منه ان يغفرلها الغلطة التي ارتكبتها.

«وأنا أيضاً، لم أكن أعرفك جيداً. والاّ لما تصرفت هكذا...»

توقفت عن الكلام اذ اغرورقت عيناها بالدموع. كل هذه الأشهر الماضية التي افسدتها أسباب سخيفة من سوء التفاهم والكبرياء

العنيد. ثم تابعت وهي تمسح دموعها:

«أين كارول، الآن؟»

«في تكساس، عند اهلها. وحسب رسالتها الأخيرة، فالطفل في صحة جيدة».

قالت ديانا بتعجب:

«الطفل؟»

«نعم. هذه كانت مشكلتها. أعتقد اني قادر الآن ان اشرح لك الأمر. كانت كارول تحب رجلاً فرنسياً. وعندما أخبرته انها حامل، تركها. كان متزوجاً ولم يقل لها ذلك. عندما بعثت لي الرسالة كانت في أشد حالات اليأس، تريد الانتحار، ليس لأنها كانت حاملاً، انما لأن الرجل الذي أحبته تخلى عنها».

أغمض جايسون عينيه وراح يمسح عن وجهه العرق المتصبب. فلم تقل ديانا شيئاً بل كانت تنتظر، اذ ادركت انه بات مستعداً لاطلاعها على كل اسراره.

«هل تفهمين الآن لماذا لم أكن قادراً على ان اخبرك شيئاً. كانت المسألة مسألة ثقة بيني وبينها. وجودي معها في باريس خفف عن آلامها، وساعدها على ترتيب امورها وعودتها الى تكساس. رافقتني الى المطار. كانت قد ارتاحت وشكرتني من كل قلبها. اعتقد ان في تلك اللحظة بالذات شاهدتنا اونيس معاً».

شعرت ديانا بالخجل والندم في آن. فقد اعتقدت ان جايسون ذهب الى باريس لأنه على علاقة عاطفية مع فتاة تدعى كارول. ولم تكن تعرف ان كارول هذه ابنة خاله، التي كانت في حالة يأس، ساعدها جايسون في التخلص منها.

قالت ديانا وهي ما زالت تبكي:

«آه لو أنني عرفت الحقيقة قبل الآن».

وراحت تقول في نفسها: لقد ارتكبنا غلطة كبيرة لأننا لم نتبادل الثقة ودمّرنا حبنا:هذا الحب الفتي، الطري، الذي لم يسنح الوقت لأن يصبح حباً قوياً وأكيداً!»

في الخارج هبط الظلام. والغرفة مضاءة فقط بالمصباح الكهربائي الصغير الموضوع على طاولة قرب السرير. كانت ديانا جالسة على حافة السرير. لا يفصلها سوى مسافة قليلة. يكفي ان تمد ديانا يدها لتلمس قدميه وتداعبها.

شعرت بأنها ستنجرف امام احاسيسها ورغبتها، فنهضت وتوجهت الى النافذة من جديد.

في الخارج، الهواء يصعب تنفسه من شدة ثقله، والليل الاستوائي كثيف بحيث شعرت ديانا أن جسمها يكاد ينهار.

قالت ديانا فجأة قاطعة حبل الصمت الثقيل:

«لا بدّ ان ثمة احتفالاً أو عيداً، في مكان ما».

«انهم عمال التنقيب. لقد وجدوا طبقة نفطية مهمة. وهم يحتفلون بهذا الاكتشاف».

«ألاتشعر برغبة في الالتحاق بهم؟»

أجابها بحدة:

«لا أرى أية مناسبة لأقامة مهرجان».

«ألم تقل ان الأبحاث نجحت؟»

«من دون شك»

فوجئت ديانا من عدم اهتمامه بالموضوع. لقد كانت تتصور ان عمله هو قبل شيء، حتى قبل زوجته.

«هل هذا يعني ان عملك في -الأكوادور يوشك على ان ينتهي؟»

«لا أعرف شيئاً».

أجوبته المقتضبة بدأت تثير فيها الغضب. لكنها تمالكت نفسها. عرفت بعد هذه التجربة ان اغضاب جايسون لا يجدي. وسألت:

«أين قررت ان تكون رحلتك المقبلة؟»

ظنت ديانا ان جوابه قد يكشف النقاب عن حقيقة عاطفته تجاه روزا. الآن وقد عرفت من تكون كارول، تريد ان تعرف من هي هذه المرأة التي يحاول ان ينساها، ربما تكون روزا.

أجابها جايسون:

«اني انوي البقاء في الأكوادور. احب البلاد واحب اهلها. وكذلك فقد ولدت هنا وتوفي والدي هنا أيضاً. أشعر بأن جذوري في هذه الأرض.وتذكرت ديانا انها سألت جايسون يوماً، ما اذا كان ينوي ايجاد عمل مستقرّ. فأجابها: ليس الآن. لست مستعداً لذلك بعد. لكن في يوم من الأيام، ربما، لكن ليس هنا، ليس في انكلترا.

والآن، يبدو انه مستعد لذلك. لقد قرر البقاء هنا في هذا البلد الغريب. هل من أجل شخص معين؟ هل لأنه يحب روزا؟

وأضاف جايسون يقول:

«سأبقى في المؤسسة ذاتها».

سألته ديانا:

«أهذا هو السبب الذي جعلك تفكر بشراء بيت في كيتو؟»

«من قال لك ذلك؟ ألا يمكن للأنسان في هذا البلد ان يحتفظ بشيء له؟»

« جيردا، صاحبة الفندق أخبرتني بذلك. وهي تعتقد انه لهذا السبب بالذات جئت الى هنا».

أجابها بضحكة وقحة:

«صحيح. كنت افكر في شراء منزل، لكن ذلك كان منذ مدة طويلة.

كنت اخطط لمشاريع وهمية! كنت احلم بأن يكون لي منزل أستقر فيه مع اولادي».

«ومن كنت تريد ان تكون ام اولادك، روزا غيبارمو؟»

انتفض جايسون في غضب وأمسك بذراعها. وبسرعة وضعت ذراعها الأخرى فوق عينيها تفادياً لأية صفعة.

«كلا. كلا. لا تخافي. أنا لا اضرب النساء، حتى لو كنت تستحقين ذلك. اذن، لم يتغير شيء. السنة الماضية، كانت كارول في باريس، وهذه السنة روزا في الأكوادور. الفارق الوحيد هو انك هذه المرّة لست في حاجة اونيس لتلقنك دور المرأة الغيورة».

كانت عيناه الزرقاوان تطلقان بريقاً غريباً. ووجهه اصفر كالرخام وبدت قطرات العرق تتصبب على جبينه.

تلعثمت ديانا وهي تقول:

« جايسون... انا أسفة... انا... ما... كان يجب ان اقول ما قلته الآن».

«ولكنك قلته. والآن أعرف كيف تنظرين اليّ. انت بالذات، لا أحد سواك».

«لا، لا، ليس أنا. انها روزا. لقد امضت النهار كله وهي تخبرني عنك. قالت لي انها جعلتك انساناً سعيداً، وكانت تعزف لك على القيثارة وتأخذك في نزهات على ظهر الحمار. اني... اني اكرهها. ولهذا السبب لم ابق في المزرعة».

قطب حاجبيه وعض على شفتيه. وعرفت ديانا انها لمست الحقيقة.

وفجأة، سألها جايسون، في نبرة شبه هادئة هذه المرّة:

«وماذا قالت أيضاً؟»

«طلبت منك ان تتزوجها. ولم تكن تعرف انك رجل متزوج. فلم تخبرها

بذلك. ولم تخبر أحداً بذلك. وأنا لا أفهم لماذا».

انتظرت من جايسون تفسيراً على ذلك. لكنه اكتفى بهزّ كتفيه. فتابعت ديانا تقول:

«عندما عرفت من أكون، تصوّرت انني جئت الى الأكوادور لأطلب منك الطلاق».

«اذن، كوني صادقة، لمرّة واحدة. ألم تفكري بالطلاق؟»

اعترفت ديانا نادمة:

«بلى. والمسؤول عن ذلك شخص آخر».

« اونيس؟»

«نعم، وبول».

ضحك جايسون وقال:

«آه، آه! لا استغرب!»

«لماذا؟ لماذا تقول هذا؟ ماذا تعرف ما لا اعرفه؟»

استدار ونظر اليها وجهاً لوجه. كان يبدو كأنه ينظر الى فتاة صغيرة تحتاج الى بعض النصائح. مثل ابنة خاله كارول، عندما استنجدت به ليساعدها. وشعرت ديانا فجأة بأنه لم يكن يتوجه الى زوجته بالحديث بل الى شقيقته الصغيرة. أجاب قائلاً:

«اني أعرف اشياء كثيرة عنها. انت تعرفين اني اعرفها قبل ان التقي بك. اونيس وانا خرجنا معاً، مرّتين او ثلاث مرّات وحضرنا بعض الحفلات الموسيقية. لكنها لم تكن تناسبني».

وعرفت ديانا لماذا كانت اونيس تغار منها. اونيس تحب جايسون! ولهذا فهي حاقدة لأن جايسون تزوج ديانا!

«اما بول، فكان يفضل ان يتزوج ابنة مديره، يعني أنت. وهكذا يؤمن مستقبله في مؤسسة متينة. ايّ انسان آخر كان قادراً على ادراك

الأمر الا انت. انت الفتاة المسكينة البريئة».

تنهد ورفع عن جبينه خصلة شعره المتمردة واضاف:

«ألهذا السبب جئت؟ اما زال بول يريد ان يتزوجك؟ وأنت، هل ستتزوجيه، عندما تتخلصين مني؟»

قالت ديانا بعنف:

«قلت لك اني لم اكن على علم بوجودك هنا في الأكوادور».

«لكن كريستوفر كان يعرف جيداً اني موجود هنا. ألم تخبريه عن مشاكلنا؟»

«اسمعني يا جايسون، اقترح والدي ببساطة ان امضي عطلتي برفقته. هل تحاول التخلص مني حتى تستطيع الزواج من روزا؟ هي المرأة التي تحاول ان تنساها؟ هل من اجلها فكرت بشراء منزل؟»

حوّل جايسون نظره عنها واتجه نحو الباب. ثم توقف وسألها:

«اذا قلت لك نعم، هذا ما أريده، ماذا تفعلين؟»

وبدورها حوّلت نظرها عنه حتى لا يرى الحزن العميق في عينيها. ها هي اللحظة التي كانت خائفة منها. حان الوقت لأن تتخذ أصعب قرار في حياتها. كانت يداها ترتجفان وقلبها يخفق بسرعة. ثم راحت تنظر الى السماء المكثفة بالغيوم.

سألها جايسون في صوت خفيف:

«هل تحتاجين الى كل هذا الوقت لتردي على سؤالي».

«اني... اني اوافق على الطلاق، حتى تتمكن من الزواج منها».

عمّ صمت متوتر. وراحت السماء تبرق والرعد يدوي.

سألها جايسون:

«هكذا من دون تردد؟»

«نعم»

فقال بصوت حاد:

«انك حقاً انسانة شهمة وكريمة».

استدارت لتجابهه وجهاً لوجه. كان قريباً منها حتى كانت قادرة على ان تنتشق رائحة عرق جلده وتنفسه. فلم يكن لديها سوى رغبة واحدة: ان ترتمي في ذراعيه وتضمه اليها بشدة. لكنها تراجعت خطوة الى الوراء.

أكمل جايسون كلامه:

«ما دمت سخية الليلة، يمكنك أن تفعلي شيئاً من أجلي».

«نعم، ماذا؟»

رجعت الى الوراء خطوة ثانية. وهو يقترب منها من جديد. فقالت بعصبية:

«والدي قال لي ان علينا ان نتناقش معاً. وحسب رأيه، انها الطريقة الوحيدة من أجل تسوية الأمور».

«والدك رجل عاقل. وانا سعيد لأنه قرر ان يصطحبك معه. لكن الكلام ليس وحده وسيلة التعبير».

وراح جايسون يداعب ذقنها بلطف. ثم امتدت اصابعه نحو عنقها. فشعرت ديانا بقشعريرة تجتاز جسمها كله. أحنت رأسها وهمست:

«ماذا تريدني ان أفعل؟»

«ما كنا نفعله عندما كنا معاً. شيء انتظره منك، ما دمت زوجك».

وبضغط خفيف على يدها، جعلها تقترب منه. لكنها وضعت يدها على صدره لتبعده عنها. من المستحيل ان تدعه يلمسها، بعدما طرحا موضوع الطلاق. وهمست بتصميم وعزم:

«لا، لا، يا جايسون!»

«لم لا؟ ما زلنا متزوجين، وما نفعله ليس ضد القانون، انما بالعكس. في كل حال، نحن الآن في بونو، والليل عاصف...»

لا، لن تدعه ينام قربها ما دام لا يحبها. لم يفكر بشيء آخر منذ ان عرفته. والليلة، بعدما عاد من الأدغال، يبحث عن شيء يلهو به. وها هي زوجته بقربه، في متناول يده.

قالت ديانا وهي تتخبط لتتخلص منه:

«لا!»

لكنه ظلّ يشدها بين ذراعيه وحاول ان يعانقها لكنها ظلت تحاول التخلص منه.

«لا، أرجوك دعني، هناك أشياء كثيرة يجب ان توضحها قبل... آه يا جايسون ألا تفهم؟ اني لا اقدر! لا اقدر!»

أجابها بسخرية:

«صحيح. في هذه الحال عليّ ان افكر بوسيلة لأقنعك بذلك، أليس كذلك؟»

«اذا، اذا لجأت الى القوة، فلن اسامحك ابداً».

وراح جايسون يهمس في اذنيها:

«لكن يجب ان تعرفي، انه بعد كل ما حصل، لا أبالي ما اذا سامحتني او لم تسامحيني».

قررت ديانا ان تستسلم له في البداية لتجد مناسبة للافلات منه. ظلت تضربه على كتفيه وتدير وجهها عن وجهه. لكن بدون جدوى.

ولم يسمعا هبوط المطر الذي كان يقصف سقف الشرفة. كانا منجرفين في سيل حبهما، حتى انهما نسيا ما يجري في العالم الخارجي.

وبعد هدوء العاصفة، شعرت ديانا بجوع يمزق معدتها، فسألها

جايسون:

«اني اسمع ضجة غريبة».

«انها معدتي. اني جائعة. فلم أتناول طعام الغداء».

«لماذا؟»

كانت ديانا تنظر اليه بعينين مليئتين بالنعاس. كانت جلدته السمراء تلمع تحت ضوء القنديل، وجسمه كان يشبه جسم رجل رياضي.

وراحت ديانا تخبره عن هربها من المزرعة. وكان هو يداعب ذراعها وفي الوقت نفسه يصغي الى ما كانت تقوله. وبعد أن أنهت قصتها، قهقه جايسون وقال:

«لا بدّ ان لويس غيبارمو فقد عقله! انه يبحث عنك في كل مكان، من دون اي شك».

«ربما يجب ان تتصل هاتفياً وتخبره اني هنا في الفندق واني على ما يرام».

اجابها جايسون وهو يتوجه نحو الباب:

«كلا، دعيه يقلق، ما حدث يجب ان يكون درساً له».

سألته ديانا خائفة:

«الى أين أنت ذاهب»

ضحك بسخرية:

«سأجلب لك شيئاً تأكلينه، لاسكات معدتك. وانا أيضاً جائع. لا تخافي. اني عائد. فلم ينته الليل بعد».

٧ ـ الوجه الآخر لسيد المزرعة

اطلقت ديانا زفرة واستيقظت، من دون ان تفتح عينيها. مدت قدميها وشعرت بالصفاء والاسترخاء والسعادة... حاولت اطالة هذا الاحساس. وابتسمت لنفسها عندما تذكرت سبب هذه السعادة.

مدت يدها في اتجاه جايسون وهي ما زالت مغمضة العينين. لكنه لم يكن قربها. وللحال فتحت عينيها وانتصبت واقفة. لقد رحل.

أصيبت بصدمة وهبطت من سريرها وراحت تفتش عن أغراض جايسون. لاشيء. كلها اختفت. اذن فقد غادرها بصورة نهائية. وراحت تبحث في كل انحاء الغرفة علّها تجد رسالة منه. لكن عبثاً.

أطلقت زفرة مرّة وراحت تجرّ قدميها حتى وصلت الى السرير وسقطت فيه وتقوقعت تحت الدثار.

وكما قال جايسون، مساء أمس لا شيء تغير. كما في الماضي، علاقتهما تتجدد بليلة واحدة او أكثر، ثم يليها الاختفاء المفاجيء. ويتم كل شيء قانونياً. فهناك عقد زواج طبقاً للأصول. وهذا يعني، ان ما حلمت به، بأنهما توصلا أخيراً الى الاقتناع بضرورة اقامة زواج حقيقي، لن يتحقق.

ان رحيل جايسون المفاجيء دمّر كل امنياتها وأحلامها. لو كان يحبها فعلاً، لطلب منها ان ترافقه. لماذا لم يقل لها انه مضطر الى الذهاب غداً صباحاً؟ او على الأقل لماذا لم يترك لها رسالة يشرح فيها

أين سيكون؟

لقد رحل. وليس في ذهنها اي فكرة عن امكان العثور عليه، او متى سيعود. وهل هو عائد؟

انها تحبه. وهي متأكدة انها لن تحب رجلا غيره حتى وان تخلى عنها. ولذلك تشعر الآن بالغيرة تنهشها. لم تعد تغار من كارول، بعد ان عرفت من تكون، بل هي تود ان تتعرف اليها وعلى ولدها.

تتمنى ان يكون لها ولد من جايسون!

تذكرت ديانا فجأة ردة فعل جايسون عندما لفظت اسم روزا. غضب. لماذا غضب؟ هل لأنه يحب هذه الفتاة الصغيرة؟

لم تعرف حتى الآن ما اذا كان جايسون يريد الطلاق منها، ليتزوج من روزا.

هذا هو جايسون: انسان حرّ، يتحكم بنفسه، تتعذر السيطرة عليه. وهي تحبه هكذا. لو كان انساناً مختلفاً لما احبته. تخاف ان تخسره الى الأبد!

احست ديانا بالجوع. فنهضت من سريرها وارتدت الفستان الذي ارتدته أمس بعدما غسلته. انه الفستان الوحيد التي تملكه هنا في بونو. فكل ما تبقى موجود في المزرعة وفي منزل ماريا في كيتو.

وتذكرت ديانا لويس غيبارمو. لا شك انه حانق وخائف معاً. كان يجب على جايسون ان يعلمه بأمر عودتها. لماذا رفض. لابدّ انه لا يحب لويس لسبب غامض.

نزلت ديانا الى الطابق الأرضي والتفت وجهاً لوجه صاحبة الفندق. فوجئت جيردا عندما رأتها وقالت:

«يا الهي! انت هنا!»

«نعم، عدت البارحة بعد الظهر. ألم يقل لك جايسون اني عدت؟»

«لم اره».

«لم تره صباح اليوم».

«لا. لكن أعرف انه سيغادر الفندق اليوم، اذ سدد الفاتورة البارحة. كما دفع عنك مسبقاً، لليلتين اضافيتين. هل هذا يناسبك، يا سيدة كلارك؟»

«اوه... نعم، نعم، اعتقد ذلك».

لم تفهم ديانا شيئاً. لماذا لم يطلعها جايسون على هذه الأمور؟ وأكثر من أي وقت آخر، تأكدت ديانا انه قرر التخلي عنها الى الأبد.

أضافت جيردا تقول:

«لكن لم أفهم. جاء السيد لويس غيبارمو بنفسه منذ بضع دقائق ليسأل اذا كنت هنا. قلت له انك ما زلت في المزرعة، فبدا عليه الانزعاج. ماذا فعلت له حتى صار في هذه الحالة؟»

«أين هو الآن؟»

«في المستشفى. ذهب ليبلغ والدك انك اختفيت، وانك لا شك ضائعة في الأدغال التي تحيط بالمزرعة».

«آه. لا!»

أسرعت ديانا نحو الباب فنادتها جيردا:

«الى أين أنت ذاهبة؟ يجب ان تخبريني، ربما جاء احد يسأل عنك ويجب ان أعرف أين سيجدك».

«في المستشفى».

أسرعت قدر الامكان. لكن الطريق كان مستنقعاً حقيقياً. وكانت ديانا تتعثر في الماء الموحلة، لكنها لم تبال. تريد ان تصل الى

المستشفى قبل ان يتبلغ والدها نبأ اختفائها.

أمام المستشفى، شاهدت سيارة الكاديلاك وأمامها يقف جوزيه ويصفر. فلم يرها تدخل.

سمعت اصوات شجار باللغة الاسبانية. وشاهدت لويس غيبارمو يتناقش مع ممرضة مختصة في قاعة الانتظار ويلوح بيديه، ولما سمع صوت الباب التفت الى الوراء. ذهل وحملق فيها وقال:

«يا الهي! هل انت ديانا، حقا؟ لست مصابة بشيء ما؟»

«اني على ما يرام».

«أين كنت؟ كيف وصلت الى هنا؟ يا إلهي، لم امض ليلة بيضاء كهذه من قبل، حتى ليلة ولدت روزا. لقد اعتقدت انك ضعت في الغابة. وكنت اتساءل كيف سأخبر والدك وجايسون بالأمر».

«اني آسفة يا سيّدي. لكني لم أقدر ان ابقى في مزرعتك بعد المعلومات التي أطلعتني عليها روزا».

«روزا؟ ذهبت بسببها؟ لكني لا أفهم، فهي خائفة جداً من ان تكوني ضعت في الأدغال، عندما اكتشفت انك لم تكوني في المنزل. يجب ان تخبريني ماذا قالت لك».

ألقى لويس نظرة الى الممرضة التي كانت تراقبها بفضول.

«حاولت ان أرى والدك. لكن هذه الممرضة رفضت ان تدعني أدخل. الظاهر ان مواعيد الزيارات لم تحن بعد. ما هذا النظام غير المعقول؟ لا يمكننا ان نستمرّ في الحديث هنا. تعالي الى السيارة».

«شرط ان تعدني، ألاّ تخطفني».

قال في دهشة:

«أنا؟ لن اخطفك لأي سبب كان، يا سيدتي، خاصة بعدما عرفتك. انت

انسانة متعبة. وكذلك هذه الأمور لم تعد تهمني. لو كنت أصغر بعشرين سنة، لكان الأمر مختلفاً. لكن اليوم، أفضل حياة هادئة. تعالي، لنخرج».

قالت ديانا وهي تتبعه:

«لم اتناول بعد فطور الصباح. ما رأيك لو تذهب الى الفندق، أعتقد ان لا مانع لديك؟ يمكننا هناك ان نتحدث، بينما أستعيد قواي من جديد. ويمكنك ان تأخذ معي فنجان القهوة».

أجابها مبدياً استياءه:

«اني اعرف أماكن افضل من تلك لتناول القهوة، لكنني أرافقك عن طيبة خاطر».

وفي الفندق، لم تكن زيارة سيد «السكّر» خفية من دون ان يلاحظه أحد. وكانت السيدة جيردا، صاحبة الفندق، فرحة بوجوده في مقهى الفندق، وتصرّ على معرفة رأي زبونها العظيم في نوعية القهوة التي قدمتها اليه. اما هو فكان غاضباً، فأجابها بنبرة خاطفة:

«نعم، نعم، يا سيدتي، ان القهوة لذيذة الطعم. اما الآن فأرجوك ان تتركينا».

وما ان خرجت جيردا من غرفة الطعام حتى انحنى لويس نحو ديانا وسألها:

«والآن يا ديانا، أرجوك، اخبريني كل شيء. لماذا تركت المزرعة؟ وكيف تمكنت من الوصول الى بونو؟»

وفضلت ديانا ألاّ تخبره عن تصرف روزا، واكتفت بأن اطلعته على تفاصيل هربها. فكان يراقبها وهي تتكلم وكانت انفعالاتهتتراوح بين المفاجأة والتمتع والانزعاج. وما ان انتهت من روايتها حتى قال:

«يا للهول! لماذا خفت ان تطلبي مني اعادتك الى بونو؟ يجب ان تخبريني ما كانت روزا تلمّح اليه بالفعل. وسأعاقبها اذا كانت مذنبة».

أجابت ديانا متعجبة:

«لا، أرجوك، لا تفعل ذلك: لن اخبرك شيئاً اذا كنت تنوي ان تعاقبها. لم تكن لطيفة معي، لكن كانت لديها مبرراتها. لقد شوشتها في السهرة وهي لم تخرج بعد من توترها».

«اني معجب بارادتك، يا ديانا. لكن اذا كنت مصرّة على ألاّ تخبريني شيئاً، فسأضطر الى ان اعاقب روزا. ألا ترين ان ذلك غير عادل؟ هيّا، قولي كل شيء».

شعرت ديانا انه تغلب عليها بحجته هذه، فراحت تخبره كل ما قالته روزا خلال النزهة. واحمر وجهها عندما اضطرت الى ان تشرح له ما قالته روزا، من انه اختارها لتصبح عشيقته الجديدة. فابتسم في هزء وقال:

«ان الصورة التي ترسمينها عني ليست مديحاً. لا، لا، أرجوك، لا تعتذري. ان ذلك يريحني ان أرى نفسي من خلال عينيك. ويمكنني القول ان فكرة روزا ذكية جداً. وذلك باستغلال سمعتي السيئة تجاه النساء لتحصل منك على ما تريده. لكنها لم تكن تعرف مدى شجاعتك وعزمك. كما أنها لم تكن تعرف السبب الحقيقي الذي من اجله دعوتك للمجيء الى المزرعة».

فسألته ديانا للحال:

«وما هو السبب؟»

«كنت أريد ان اصدمها حين أجعلها تتعرف الى زوجة جايسون.

زوجته الشرعية التي لم يخبرها جايسون عنها. وكنت آمل بذلك ان ابرهن لها أنّ جايسون كذب عليها، بعدم اخباره الحقيقة. في الواقع، كنت أود ان اشوه صورة جايسون في عينيها، حتى تكف عن حبه».

« لكن لا أفهم. لقد شرحت لي بنفسك ماذا عليّ أن أفعل حتى يصبح زواج روزا من جايسون ممكناً».

أجابها وهو مقطب الحاجبين:

«متى قلت لك ذلك؟»

«عندما كنا نتناول القهوة في غرفة الاستقبال. قلت لي انه اذا تم الطلاق بيني وبين جايسون، فيصبح ممكناً زواج روزا منه».

«آه، صحيح، لقد تذكرت. لكنك لم تفهمي ما كنت أقصد. كنت اريد فقط معرفة ما اذا كنت تنوين الطلاق. كنت أريد معرفة حقيقة عواطفك تجاه زوجك. وكل ما فهمت هو انك تحبينه. وفجأة، ومن دون ان أعرف السبب، خرجت وتوجهت الى غرفتك. قررت ان اتبعك حتى نتابع حديثنا، لكن قلت لنفسي ليس ثمة سبب للعجلة. يمكننا متابعة الحديث في الغد، بعد ان أعود من بونو».

توقف عن الحديث منتظراً منها ان تجيبه. لكن ديانا شعرت بحيرة تجاه موقفه غير المنتظر، ولم تعرف ما تقوله. فتابع لويس حديثه قائلاً:

«لقد ارتكبت غلطة واحدة اني نسيت اعتبار غيرة فتاة شابة ذات مزاج حار، أعني بذلك روزا. كانت ردة فعلها عنيفة، وبالتالي كانت ردة فعلك انت عنيفة أيضاً. اني الآن اتصوّر ما حدث بينكما: مثل هرتين غاضبتين! وانني نادم لأنني لم أكن موجوداً لأرى ذلك المشهد. لا بدّ

انه كان مشهداً رائعاً!»

كانت وقاحته تثير في ديانا ثورة خافية وشعرت بعدم قدرتها على الرد عليه لكنها ادركت ان شرحه لا يشوبه أي خطأ. كيف اعتقدت انه دعاها الى المزرعة من أجل اغرائها؟

سألها لويس وهو يراقب عينيها الثاقبتين:

«ألا تصدقينني؟»

«اود ان اصدقك، لكن ذلك صعب عليّ بعد الذي جرى في السيارة»

«نعم، بكل تأكيد... كيف أجيبك؟ نحن الأكوادوريون، شعب كريم وحار. هل تتفقين معي؟»

«نعم».

تابع لويس حديثه وهو يضع يده على قلبه:

«اننا نشعر بالأشياء بكل قواها. كما اننا نظهر عواطفنا أمام الآخرين. يا ديانا، كنت اعرف انك انسانة حزينة وتعيسة. لقد اخبرتني شقيقتي مشاكلك مع جايسون. وكنت أريد ان اهوّن عليك الأمور وأقوّي عزيمتك. هذا كل شيء. هل تصدقينني الآن؟»

«اذا كان كل ما تقوله صحيحاً، فلا بدّ انك تصوّرتني انسانة ساذجة، بعد هذا الهروب الأحمق».

«لا، لم أتصوّرك انسانة ساذجة، بل ربما انسانة متوترة. لكنك لا شك انسانة حسّاسة ومن السهل معرفة ذلك. قولي، هل كان جايسون موجوداً في الفندق لدى عودتك؟»

«نعم»

«أود ان اراه»

«هذا مستحيل. فقد رحل من جديد».

«بهذه السرعة؟ انه انسان غريب الأطوار! يا للأسف. عليّ ان أذهب الآن. هل بامكاني ان أفعل شيئاً لك أو لوالدك؟»

«لقد تركت حقيبتي في المزرعة. هل يمكنك ان تعيدها اليّ؟»

«بالطبع. سيهتم بذلك السائق نفسه. سيتعجب كثيراً عندما يعرف بأية طريقة عدت الى بوتو. انه، ليس فقط سائقي، بل مرافقي أيضاً. وارتكب غلطة مهنية كبيرة، اذ نسي ان يفتش السيارة قبل الرحيل».

صرخت ديانا:

«أمل الاّ تعاقبه!»

«هذا رهن الظروف. اني أدفع له معاشاً من أجل ان يؤمن لي الطمأنينة والأمن الشخصي. واذا وجدت عقابه عادلاً فلن اتأخر عن ذلك. الى اللقاء، يا ديانا».

وأجابت وقد ارتاحت لقراره بالانصراف:

«الى اللقاء، يا سيدي».

لم تكن ديانا متأكدة تماماً انه اخبرها الحقيقة. لكنها فهمت انه صارم، يجد لذة في تحريك الآخرين. وقد ارتكبت روزا غلطة كبرى، لأنها وقعت في غرام رجل، غير الرجل الذي اختاره لها والدها. ولذلك فلم يسامحها.

وراحت ديانا تقارن بين والدها ولويس. لاحظت فرقاً شاسعاً بين تصرفات الرجلين، وتبينّ لها ان والدها رجل متسامح لم يمنعها مرّة من ان تفعل ما تريده. وعندما قررت ان تتزوج من جايسون، ساورته الشكوك لسرعة الأحداث المتتالية، لكنه وافق على هذا الزواج وباركه. والآن، على طريقته الخاصة، ومن دون ان يفرض رأيه، كان

يفعل كل ما في وسعه للحفاظ على هذا الزواج.

عادت ديانا الى المستشفى. كان والدها يتمشى داخل غرفته، ذهاباً واياباً، يمرّن عضلاته التي أصبحت مترهلة بسبب بقائه مدة طويلة في السرير، وهذا يدل على ان صحته تحسنت. فلما رآها، قال متعجباً:

«ديانا! لم أكن انتظر مجيئك قبل نهار الغد!».

«لقد... لقد عدت البارحة».

فضلت ألاّ تخبره عن هربها من المزرعة. ربما اعتبرها عملية وقحة وسوء تصرف من جانبها تجاه صاحب المزرعة.

ثم تابعت تقول:

«اني سعيدة لرؤيتك تمشي، هل تشعر بتحسن؟»

أجابها مبتسماً:

«اني استعد للرحيل. سأتعرض الى كشف طبي آخر في كيتو، وسأزور طبيبي لدى عودتي الى لندن. في امكاني الذهاب غداً. لكن لم أكن انتظر منك ان تعودي بهذه السرعة. ما جرى؟ ألم تعجبك اقامتك في المزرعة؟»

«كلا. ليس هذا بالطبع. كنت أريد رؤية جايسون»

«هل رأيته من جديد؟»

«نعم».

«حسناً. زارني بعد الظهر أمس. وقد حجز لي مقعداً في الطائرة للعودة . اني مدين له بالكثير بعد هذا الحادث. وشكرته على كل ما فعله من أجلي».

رمقها بنظرة وأكمل قائلاً:

«كان يبدو منزعجاً بسبب زيارتك لمزرعة لويس غيبيارمو. الظاهر ان لويس يحب النساء، ألهذا السبب تركت المزرعة بهذه السرعة؟»

«انه أحد الأسباب».

«أفهم. هل سنحت لك الفرصة للتكلم مع جايسون؟هل هناك امرأة أخرى؟»

«نعم... لقد... لقد اقترحت عليه الطلاق اذا اراد ان يتزوجها».

«وماذا كان جوابه؟»

«ان ذلك كرم من جانبي، و...»

توقفت ديانا فجأة وتذكرت ماذا جرى بعد ذلك.

«و... هل اقتنع بضرورة الطلاق؟»

«لا أعرف.. لم يقل لي شيئاً.والآن ذهب من جديد. ألا تعرف الى أين ذهب؟»

«الى كيتو على ما أعتقد. عليه أن يقدم تقريراً حول طبقة النفط التي وجدها أخيراً. انه منهمك جداً في هذه الفترة، يجب ألاّ تدهشي اذا بدا عليه الشرود، اذن، لم تقررا شيئاً في شأن الطلاق؟»

«كلا»

«ومن هي تلك المرأة؟ أتعرفينها؟»

«اني... أعتقد انها روزا غيبيارمو».

«لهذا السبب غادرت المزرعة، اليس كذلك؟»

«نعم، سبب من الأسباب».

«لكنك تقولين، انك تعتقدين ان تلك المرأة هي روزا غيبيارمو. ألست متأكدة من ذلك؟»

«كل ما أعرفه هو ان هناك امرأة أخرى، وان روزا مغرمة به».

أجابها كريستوفر بهدوء:

«لايعنني ان جايسون مغرم بها».

«اعرف، لكن لا أرى من تكون تلك المرأة. قال لي جايسون أنه أمضى شهوراً عديدة يحاول نسيانها».

«لكن، لم يقل لك من تكون».

«لا».

«في هذه الأحوال، انك لا تعرفين شيئاً. انك تتخيلين فقط».

تنهد وأضاف:

«يبدو انك لم تصلي الى نقطة عميقة في مناقشاتك معه».

«لكن جايسون يكتفي دائماً بالتلميح. لا يحب ان يتكلم عن نفسه».

«نعم. لاحظت ذلك. قولي، ألم يخطر لك ان تسألي نفسك اذا كانت المرأة التي يحاول جايسون ان ينساها منذ شهور عديدة، ربما تكون أنت؟»

«أنا؟»

«نعم، بالطبع، أنت، زوجته، المرأة التي تزوجها وهو يعرفها معرفة سطحية، والتي اساءت اليه مرتين...»

قالت وهي على وشك البكاء:

«لم أكن أريد ان أؤذيه. لم أكن أعرف انه رجل حساس لهذه الدرجة».

«نعم. لا شك انه يخفي انفعالاته. لكن ألا تعرفين، يا ديانا، انك أذيت الرجل الذي تحبين والذي يحبك».

سألت ديانا في استغراب:

« جايسون يحبني؟»

«لنقل انه كان يحبك. والذي يشعره تجاهك اليوم، شيء آخر. اني آمل ان تنجحي في الاتفاق معه، بطريقة او بأخرى، قبل عودتنا الى انكلترا ، اي بعد أربعة أيام».

قالت مستغربة:

«لكني لا أعرف اذا كنت سأراه حتى ذلك الوقت. لو أراد ان يراني، لكان قال لي أين ذهب، لو ترك لي رسالة، على الأقل».

«ليس هذا ضرورياً. ربما لم يتسن له الوقت للكتابة. ربما لم يجد ورقة أو قلماً. هناك أسباب عدة بسيطة، يا حبيبتي، واذا واصلت التفكير هكذا بالنسبة الى أمور تافهة، فلن تكوني سعيدة ابداً مع رجل مثل جايسون. يجب ان تعتادي ان تحبيه كما هو، وان تثقي به. انه يعرف انك ستصبحين في كيتو، بعد غد. ويعرف أيضاً اننا سنعود الى لندن بعد أربعة أيام».

شكرت ديانا والدها بحرارة للنصائح الجيدة التي قدمها لها وودعته وتوجهت فوراً الى الفندق.

ولدى وصولها، فوجئت عندما علمت ان رسالة تنتظرها. وجاء فيها، انه اذا أرادا، يمكنهما، هي ووالدها، ان يسافرا في الغد الى كيتو أي من بعد غد. وان اماكنهما محجوزة في الطائرة. فرحت ديانا لهذا التغيير وعادت الى المستشفى لتطلع والدها على الخبر.

قال لها والدها:

«هذا التغيير سببه جايسون، بكل تأكيد. بعد ان عرف انك عدت من المزرعة، فهم اني لم اعد ارغب في ان أضيع وقتي هنا في بونو».

في صباح الغد، ودعت ديانا جيردا التي كانت منفعلة لدى

رؤيتها تغادر الفندق. وكانت المدينة الصغيرة ملبدة بالغيوم، ورذاذ المطر يتساقط باستمرار، والطرقات تشبه جداول صغيرة.

عندما أقلعت الطائرة، عرفت ديانا انها لن تنسى أبداً تلك المدينة الصغيرة على حافة الأدغال: بونو، وستبقى في ذاكرتها، الحرارة المرتفعة ونعيق الضفادع والمزروعات الخضراء، وصورة جايسون، عندما كان عشيقها ذات ليلة عاصفة.

كانت الطائرة تحلق فوق وادي نهر نابو، ثم ترتفع لتمرّ فوق سلسلة من الجبال. كان الهواء يخف شيئاً فشيئاً داخل الطائرة. وكانت ديانا ترى أمام عينيها نقاطاً سوداء تتراقص. ولعدة دقائق، كان من الصعب التنفس. ثم اتجهت الطائرة نزولاً صوب كيتو، حتى هبطت في المطار. وتبينّ لديانا ان والدها لم يتألم ابداً خلال الطيران. وتوجها نحو باحة المطار الصغيرة وبدأ قلب ديانا ينبض بسرعة كثيرة.

ربما يكون جايسون هناك في انتظارها. هذا يعني انـه ما زال يحبها وان الطلاق لن يتم.

وبضحكتها الواسعة كانت ماريا سواريز في استقبالها، يرافقها سانشو. راح الجميع يتبادلون القبلات. وحاولت ديانا اخفاء خيبة أملها وتصنع الابتسام. لكن شيئاً في داخلها كان قد تحطم، لأنها لم تجد جايسون في استقبالها كما توقعت وكما كانت تتمنى.

٨ ـ الخروج من الجحيم!

من بعيد، كانت المدينة تلمع تحت أشعة الشمس، وتبرز خضرة الجبال المحيطة. وكانت قمة البركان المنتصب تشبه هرماً بلورياً. والسيارة، التي تقل ديانا، تقترب من كيتو. وهكذا يشرف يومها الأخير في الأكوادور على الانتهاء، إلاّ اذا حدث شيء غريب ـ هذا ممكن في هذه البلاد الساحرة ـ غداً اذن، عليها ان تعود مع والدها الى انكلترا.

أطلقت ديانا زفرة عميقة من دون انتباه. فسألتها ماريا سواريز الجالسة بقربها وهي تربت على كتفها:

«هل أنت متعبة يا عزيزتي؟ انني لا أستغرب ان تكوني فعلاً متعبة. لقد استيقظنا جميعاً قبل الفجر. لكن هذا أمر له قيمته، أليس كذلك؟ حسب رأيي، ان سوق اوتافالو هي من أجمل الأسواق في البلد وأكثرها تنوعاً في الألوان».

استأجرت ديانا و ماريا سيارة مع سائقها للتوجه الى اوتافالو، وهي مدينة صغيرة تقع على بعد كيلومتراً شمالي كيتو.

أجابتها ديانا:

«نعم. لا شك ان رؤية هذه السوق أمر ممتع».

وبالفعل كانت ديانا مسحورة بهذه السوق الهندية، لكن منذ وصولها الى كيتو، مساء أمس، وهي ما تزال تشعر بالتعب بصورة

مستمرة. كانت تعرف ان انعدام حيويتها ناتج من تنقلاتها العديدة في البلاد، ومن التغييرات المفاجئة في الارتفاع.

لكنها، في أعماقها، كانت تعرف ان السبب الحقيقي لهذا الارهاق ليس سوى غياب جايسون. انها تعرف جيدا ذلك الاحساس، لقد سبق وشعرت به من قبل. لكن، هذه المرة، كان شعورها اسوأ بكثير. التعب لم يخف ولا لحظة واحدة، حتى انه ازداد منذ هبوطها من الطائرة، عندما لاحظت غياب جايسون، الذي كانت تتوقع ان يكون في انتظارها في مطار كيتو.

كانت متأكدة أنها لن تراه بعد الآن. وازداد تأكدها من سكوت ماريا وعدم طرحها اي سؤال حول جايسون. كأن الجميع بمن فيهم والدها بالذات، يحيكون مؤامرة صمت، أو كأن شيئاً يحدث سراً.

كانت ترغب في ان تسأل ماريا اذا كانت قد شهدت زوجها. لكنها كانت تخاف ان تعلم اشياء جديدة تزيد من عذابها. فهي لا تريد ان تستمرّ في العذاب بعد الآن.

فرحت لاقتراح ماريا القيام بهذه الجولة في مدينة اوتافالو وزيارة السوق هناك. اتاحت لها هذه المناسبة ان تتسلى وتلهو، اذ هي في حاجة الى ذلك أكثر من أي شيء آخر، في الوقت الحاضر.

قالت ديانا أخيراً لماريا:

«لقد أحببت الألوان والحركة: السراويل البيضاء، ومعاطف البونشو المختلفة الألوان. ان النساء جميلات ومتألقات، حتى لو كن جالسات ارضاً، حافيات القدمين».

«نعم. ان هؤلاء الهنود ينتمون الى قبيلة الاينكاس. يملكون أراضيهم ومنازلهم. يزرعون الأرض بآليات خشبية. يربون الحيوانات ويصنعون الخزف. انهم شعب موهوب وفريد من نوعه».

وأضافت ديانا تقول:

«كما ان ضفاف البحيرة جميلة جداً. وما اسم البركان؟»

« تونغوراغا».

« اوتافالو مختلفة جداً عن بونو، برغم كونهما ينتميان الى البلاد نفسها».

«هذه هي الأكوادور، بلاد صغيرة حيث الطقس يختلف من مكان الى آخر: البرد القطبي والحرّ اللاهب في الأدغال. هل كانت زيارتك لمزرعة أخي لويس موفقة؟»

أجابت ديانا في اختصار خشية ان تزعج ماريا:

«نعم».

«كيف وجدت روزا؟ انها فتاة رائعة، أليس كذلك؟ قريباً، ستتزوج ارتورو غوميز الذي يملك والده حقول الموز قرب غواياكيل. وسيكون زواجها حدثاً شعبياً لهذه السنة».

«ارجو ان تكون سعيدة».

«انا متأكدة من ذلك. كانت في فترة ما مغرمة بجايسون، او بالأحرى كانت تعتقد ذلك. اما جايسون فقد تصرف في شهامة وبرهن عن اصالته ورحل عندما عرف بذلك».

تنهدت ماريا ثم أضافت:

«في مثل سنها، لا يمكن ان تكون الأمور جدية. سوف تنسى بسهولة متى يعود ارتورو. اني متأكدة تماماً من ذلك».

ألقت ديانا نظرة خاطفة الى صديقتها، التي كانت تبدو وكأنها قد تكلمت مع أخيها حديثاً. وفي ذلك الوقت، وصلت السيارة أمام أحد المنازل وتوقفت.

قالت ماريا مبتسمة:

«فكرت انه يسرك ان تتعرفي الى صديقتي كارلوتا ديل بونتي. للأسف توفي زوجها منذ شهرين وتركها مع ولدين صغيرين. هل يزعجك لو قمنا بزيارة خاطفة لتلك الأرملة؟»

«أبداً، بالعكس».

بالنسبة الى ديانا، كل شيء جديد، يكون أفضل من العودة الى منزل آل سواريز والى المعاناة من جراء تفكيرها المستمر بجايسون.

كان المنزل يشبه منزل ماريا لكنه أصغر. ساحة في الوسط مزروعة بأشجار النخيل وأشجار الليمون وغيرها من الحمضيات. والجدران مطلية بالكلس الأبيض، فيها نوافذ ضيقة عديدة.

ظهرت كارلوتا ديل بونتي على عتبة الباب. امرأة جميلة، في الثلاثين من عمرها، ذات عينين حزينتين. استقبلت ماريا بترحاب وعرفتها الى ابنتيها: ريتا وريجينا.

في قاعة الاستقبال جلست النساء الثلاث يرتشفن الشاي ويتذكرن اوتافالو وبونو وزواج روزا وانكلترا. كارلوتا تتكلم الانكليزية بصعوبة وماريا، بطبيعتها المحبة ومزاجها الرفيع كانت تقوم بدور المترجمة.

بعد ذلك خرجت النساء الى الحديقة المليئة بالأزهار المختلفة الألوان. كانت الفتاتان ريتا وريجينا تلعبان وتختبئان وراء الأشجار الضخمة. والعصافير التي تحلق بين الأغصان وتزقزق.

كانت ديانا تشعر باحساس جميل لوجودها في الحديقة وتمنت لو أنه كان في وسعها ان تبقى هنا الى ما لا نهاية. لكن ماريا كانت مصرّة على ان تريها بقية المنزل.

فقالت لها:

«تعالي. سآخذك لأريك منزلي وما حوله. لكن، انت شاحبة يا عزيزتي، هل تعانين من دوار بسبب الارتفاع؟»

«ربما، لكن هذا لا يمنعني من رؤية ما تبقى من المنزل».

في الطابق الاسفل، غرفة استقبال حيث تناولت الشاي، ثم غرفة الطعام ومطبخ مجهز. أما الطابق الأول فيتألف من أربع غرف للنوم وحمام وشرفات تطل على ساحة المنزل. ودرج لولبي يصل الطابق الأرضي بالطابق الأول.

قالت ماريا:

«مسكينة كارلوتا. انها حزينة وتعيسة منذ وفاة زوجها».

سألتها ديانا:

«كيف توفي؟»

«من جراء هزة ارضية».

«هزة ارضية؟»

«نعم. أحياناً تحصل هزات ارضية هنا. بعضها قوية والبعض الآخر عادية. زوجها يعمل لحساب الحكومة ولدى حدوث الارتجاج الأول، ذهب يتفقد أهمية الأضرار. ولما حدث الارتجاج الثاني، تهدم البناء الذي كان فيه. يا لفظاعة الحادث».

فجأة اقتربت ديانا من احدى النوافذ. حركة في ساحة المنزل لفتت نظرها. شاهدت رجلاً يدخل. كان شعره أشقر وكتفاه عريضتين ويرتدي بذلة زرقاء.

أسرعت الفتاتان نحوه وتعلقتا بذراعيه وراحتا تقبلانه.

هل هذا الرجل هو جايسون نفسه؟ لا يمكن ان يكون هو بالذات. لماذا يأتي الى هنا؟ وكيف تعرفه هاتان الفتاتان؟

ثم تذكرت انه أخبرها عن رغبته بشراء منزل ليستقر فيه. وابلغها

حلمه بانجاب أولاد. هل كان يعني هذا المنزل بالذات لا مستحيل.

قالت ماريا:

« ديانا تعالي. سننزل الى الطابق الأرضي، ويمكنك ان تتمددي على الأريكة في الدار».

«اؤكد لك اني في تمام الصحة والعافية. هذا المنزل رائع حقاً. اني أشكرك لأنك اتيت بي الى هنا لأراه. هل تريد كارلوتا ان تتزوج من جديد؟»

«كلا. ليس في الوقت الحاضر، على الأقل. لم يمض على وفاة كارلو سوى شهرين. وما زالت تلبس ثياب الحداد».

نزلتا الأدراج. وبين اصوات وضحكات الفتاتين، سمعت صوت رجل يقترب، راح قلب ديانا ينبض بسرعة فائقة.

قالت ماريا بفرح:

«يبدو ان جايسون هنا».

سألتها ديانا:

«هل كنت تعرفين انه سيأتي الى هنا؟»

«قال لي انه سيحاول المجيء. ألم تكوني على معرفة بمجيئه؟»

«كلا. لم يقل لي شيئاً في هذا الشأن».

قالت ماريا ضاحكة:

«الرجال يحبون ان يفاجئوا الآخرين وخاصة من يحبون. هذا دليل حب!»

تبعت ديانا ماريا الى قاعة الاستقبال وتوقفت حيال المنظر الذي ظهر أمامها، وما زال قلبها ينبض بسرعة: كان جايسون متربعاً على الأرض، والفتاتان قربه تطلعانه على لعبة آلية. وكارلوتا جالسة على كرسي غير بعيد، تتأملهم مبتسمة.

ولما شاهد جايسون ديانا، نهض واقترب منها وخيّل إليها انه سيقبلها ، فابتعدت قليلاً الى الوراء. توقف عن الابتسام وقال بنبرة مرتاحة:

«مرحباً. كيف وجدت المنزل؟»

أجابت ببرود:

«جميل وناعم، ماذا تفعل هنا؟»

«لقد فكرت انه المكان الأفضل لنلتقي فيه ونقرر ما سنفعل».

قطب حاجبيه وظهرت على وجهه لمحة قلقة:

«لكن لا يبدو انك في صحة جيدة. يجب ان تتمددي، لا بدّ انك ارهقت نفسك، اليوم».

جلست ديانا على الأريكة وشعرت بجايسون يرفع لها قدميها ويضعها على الطراريح. أغمضت عينيها وشعرت بأن كل شيء يدور حولها. فتحت عينيها من جديد، لكن هذه المرّة، كانت الغرفة تدور.

وبعد بضع دقائق، شعرت ديانا بتحسن. وحاولت النهوض ورأت جايسون يدخل الغرفة حاملاً ابريق شاي وبعض الفناجين.

« ماريا تطلب منك ان تشربي هذا، فتشعرين بتحسن».

«ما هذا الذي سأشربه؟»

«نوع من الشاي، ضروري لتقويتك».

تناولت ديانا الفنجان واحتست جرعات صغيرة من هذا السائل الذي لا رائحة له. ثم تطلعت حولها. كارلوتا وماريا كانتا قد اختفتا.

سألها جايسون وهو يمسك يديها:

«هل تشعرين بتحسن الآن؟»

وبصورة غريزية قامت ديانا بحركة الى الوراء، ثم أجابت:

«نعم، شكراً. جايسون، اين كنت؟ وماذا كنت تفعل؟»

أجابها جايسون بصبر غير مألوف:

«اليوم الذي غادرت فيه بونو جئت فوراً الى هنا. والبارحة اضطررت الى الذهاب الى غواياكيل، ولم أعد من هناك إلاّ منذ ساعة تقريباً. مررت بالمكتب قبل أن أنضم اليك هنا».

ثم اضاف بعد فترة من الصمت:

«وأنا أيضاً متعب قليلاً. لكن الآن، أمامي ثلاثة اسابيع عطلة. نعم، ثلاثة اسابيع من دون عمل! اني لا اصدق ذلك».

سألته ديانا:

«لماذا لم تخبرني انك آتٍ الى كيتو عندما غادرت الفندق في بونو؟»

«كي أكون صريحاً معك، أقول اني نسيت ان اخبرك بذلك عندما كنا معاً. وفي الغد، كنت تغطين في سبات عميق ولم أجد الشجاعة لأوقظك».

«لكن لماذا لم تترك لي رسالة؟»

أجابها بنبرة قاسية:

«هل تعاتبينني الآن؟»

«آه، يا جايسون، لو انك تعرف ما يكون شعوري عندما تذهب من دون ان تترك لي كلمة، كأن... كأن... ما حدث بيننا ليس له اية أهمية بالنسبة اليك».

أجابها بعنف مكبوت:

«أتعتقدين أنه يفرحني، ان أكون مضطراً الى الذهاب؟»

«لكن، بالنسبة الى الرجال، ذلك يختلف...»

فقاطعها

«ولماذا هذا يختلف؟ ربما تعتقدين ان الرجل خال من أي عاطفة. وأنا

أيضاً، لا احب لحظة الفراق».

الفراق... هكذا اذن. لم يجد الشجاعة في ذلك اليوم ان يعلن ذلك لها مخافة ان تتعلق به.

لكن، ما دام الأمر كذلك، لماذا يجعلها تتعذب بمجيئه الآن؟ ألا يكفي ما عانته من عقاب؟ لماذا جاء بها الى هذا المنزل حيث شعرت انه يدخله وكأنه صاحب المنزل بالذات؟

نهضت ديانا فجأة وراحت تبحث عن حقيبة يدها. يجب عليها، مهما كلّف الأمر، ان تجد ماريا، ومغادرة هذا المنزل بأسرع ما يمكن، لأنها لم تعد تتحمل كل هذا العذاب.

سألها بصوت حاسم:

«الى اين أنت ذاهبة؟»

«اني أبحث عن ماريا».

«ذهبت».

«صحيح، وكيف يمكنني ان أعود؟

«سأوصلك الى منزلها، اذا كنت مصرّة على ذلك».

«في كل حال، ليس لدي أي سبب لأبقى هنا».

«ولما لا؟ اعتقدت انك أحببت هذا المنزل».

«صحيح، انه منزل رائع، لكن لا يمكنني ان أبقى هنا، ان هذا المنزل تملكه تلك المرأة...»

«أية امرأة؟»

«السينيورا كارلوتا ديل بونتي».

«كلا، هذا المنزل ملكي، لقد اشتريته أمس».

قالت ديانا وقد فوجئت:

«اشتريته؟»

أجابها بنبرة فيها بعض السخرية:

«نعم، كان قراري سريعاً، لأني لم أكن وحدي مهتماً بذلك».

«وأظن انك مع البيت ستحافظ على المرأة والاولاد؟»

قالت هذه العبارة بسرعة ووجدت نفسها بين ذراعي جايسون الذي كان يشدّ عليها بقوة. وعندما فهمت ما يقصد، راحت تتخبط محاولة التخلص من قبضته، لكنه كان يمسكها بشدة وراح يقول:

«قلت لك مرّة اني لا احب ضرب النساء، لكنك اليوم، تخطيت الحدود».

«لا، يا جايسون. أرجوك، لا، انا آسفة...»

لكنه ضربها لطمة قوية على مؤخرتها براحة كفه واتبعها بأخرى. وكانت ديانا تشد على أسنانها كي لا تجهش بالبكاء.

أفرج عنها وسقطت ارضاً. سمعت جايسون ينهض ويبتعد. وفجأة شعرت انه ربما يذهب ويتركها بصورة نهائية، فنهضت لتوها. لكنه كان ما زال قربها، يرتشف من فنجان الشاي. شعرت ديانا فجأة برغبة في الهرب من هذا المنزل، فقط لتبرهن له ان ما فعله الآن بها لا يمكنها ان تقبله. لكن، في أعماقها، عرفت أنها لن تقوم بهذه الخطوة. لقد استحقت هذه الضربة. انه على حق. لقد تخطت الحدود. ووعدت نفسها انها لن تزعجه من الآن فصاعداً بغيرتها. لقد أخذت درساً قاسياً، الآن.

لكن، كيف تستطيع اقناعه بأن غيرتها ليست سوى دليل حبها له؟

قالت له بخجل:

«أنا... أنا آسفة حقاً، يا جايسون».

أجابها بعنف:

«سبق ورددت هذا الكلام».

«كل ما قلته هو لأني احبك كثيراً، و...»

قاطعها قايلاً:

«لديك طرق غريبة لتعبري عن حبك. منذ بضعة أيام اتهمتني اني أريد ان اتزوج من روزا غيبارمو. واليوم، تعتقدين اني احب كارلوتا. ماذا تظنينني؟ هل تعتقدين اني دون جوان مثل لويس غيبارمو؟»

«ضع نفسك مكاني. تتركني في بونو من دون ان تقول لي الى أين انت ذاهب ومن دون ان أعرف اذا كنت سأراك، خاصة بعد ان اقترحت عليك الطلاق لكي تتمكن من الزواج من جديد».

«كان عليك ان تثقي بي. كان عليك ان تعرفي اني سأعود اليك».

«لكن كيف؟ لم تقدم لي أي برهان لأصدق انك عائد».

أجابها متعجباً:

«أي برهان؟ لكن هل نسيت تلك الليلة العاصفة التي امضيناها في الفندق؟ ألا يكفي هذا الدليل؟»

«لكنك سألتني ماذا أفعل اذا طلقتني لتتزوج من روزا».

«نعم، سألتك ماذا سوف تفعلين اذا... أردت فقط ان أعرف حقيقة شعورك. لم تجاوبيني أنت أيضاً عندما سألتك ما اذا كنت تريدين الطلاق مني لكي تتزوجي بول، كنت تتهربين من الجواب. لماذا قلت لي انك توافقين على الطلاق؟»

همست قائلة:

«لأني... لأني أحبك. وكنت أعتقد ان ذلك ما كنت تريده وأنا أحب ان تكون سعيداً لتفعل ما تريد».

«يا لها من فكرة حمقاء! من حسن حظي أني لم اصدقك على الفور!! في كل حال، عرفت في تلك الليلة العاصفة كل شيء، وفهمت انك ما زلت

تحبينني».

قالت ديانا باحرار:

«هذا أمر غير عادل».

«لا عدالة في الحب. اني احبك واريدك ان تصبحي أماً لأولادي. أنت بالذات ولا أحد سواك... لكن، ما بك؟»

راحت ديانا تبكي بصمت وفي الوقت نفسه كانت تبتسم في سعادة ثم قالت بصوت مرتجف:

«لم تقل لي ذلك حتى الآن».

«لم أقل لك ماذا؟»

«انك تحبني»

اقترب منها وداعب وجنتيها ليجفف دموعها:

«لا شك انني لم أقل ذلك... انها كلمة كثيراً ما تستعمل في غير مكانها. الكثيرون لفظوها من دون أن يقصدوا اي شيء يذكر. أما أنا، فقد قدمت لك البراهين العديدة. وأنت لم تلاحظي أياً منها؟»

«كلا، لكني مستعدة لسماعك».

«اولاً، لقد تزوجتك. ثم كنت أعود الى المنزل غالباً ما أمكن، وهذا كان يأخذ مني جهداً كبيراً في المجال المهني. وبالنسبة الى رجل مثلي الذي ما احب يوماً امرأة سواك، كان يعني أنني كنت أحبك».

«هل تعرف... اني بدأت افهمك عندما جاءت اونيس لتقول لي انك رجل وقح...»

قال في نبرة استهزاء:

«قالت كل هذا لأني خرجت معها، مرّة او مرتين. لكن انت صدقت كلامها».

«لكن يا جايسون لم أكن أعرف شيئاً عنك. علاقاتنا كانت جسدية

بحتة. أرجوك حاول ان تفهمني... لقد توصلت الى الاعتقاد انك تزوجتني لأنها الطريقة الوحيدة التي يمكنك ان تحصل مني على كل ما كنت تريده».

«لا شك أنني استعجلت الأمور بالزواج. كنت خائفاً ان تفضلي بول عليّ. كنت متأكداً من أنه، عندما أضع في اصبعك محبس الزواج وعندما أحلف أمام الشهود انني سأظل أحبك مدى الحياة، بذلك ستبقين لي حتى الموت».

قالت له والدموع تنهمر من عينيها:

«لو لم تذهب الى هيوستن في ذلك اليوم، لكان تسنى لنا الوقت ان نتحدث عن كل هذه الأمور».

«ربما. لكن ربما كنت ما زلت تحت تأثير اونيس. على كل حال، كنت مضطراً الى الذهاب الى هيوستن بسبب عملي. كنت أمل ان تهدأ الأمور وان يجعلنا الوقت أكثر وعياً للأمور. وحينئذ فهمت ان السبب الذي جعلنا غير متفقين أننا لم نمض معاً الوقت الكافي ليفهم بعضنا البعض الآخر. ومن ثم بدأت أبحث عن منزل اشتريه. وكنت أنوي بعدما أجد ذلك المنزل ان أكتب لك واطلب منك اللحاق بي. انت تعرفين لماذا لم أكتب لك».

«لكن عندما سألتك عن الأمر، عندما كنا في بونو، لم تقل لي انك كنت تبحث عن منزل لي».

«كنت أحاول ان أنسى ذلك، كما كنت أحاول ان أنساك، أنت. لو لم يحدث لي هذا الحادث الأليم، ولو لم اشعر بضعف، ربما لم تؤلمني رسالتك تلك بهذا الشكل القوي. لقد وصلت في أكره الأوقات. ولهذا السبب لم أحدث ماريا او روزا عنك. لم أكن ارغب في ان أحدث أحداً عنك».

قالت ديانا بتواضع:

«انها غلطتي. كان عليّ أن أعرف ان رسالتي ستعذبك. لكن كنت دائماً قلقة عليك. لو كنت اعرف مكان وجودك، لما انتظرت ان تكتب لي، كنت جئت من دون ان أطلب موافقتك. لأني كنت في حاجة ماسة لأن أكون معك. آه، يا جايسون، كنت أشتاق اليك كثيراً».

أحاطها بذراعيه. وأسندت رأسها على كتفه العريضة وراحت تبكي. وكانت دموعها تتساقط على قميص جايسون.

قال لها بصوت مشجع:

«والآن، انتهينا من كل هذه الأمور التافهة. نحن معاً من جديد. عندما رأيتك في كيتو، يوم وصولك، عرفت ان كل شيء بدأ من جديد».

«ماذا؟»

«لقد وقعت في غرامك، مرّة ثانية».

قالت له مازحة من خلال دموعها:

«كنت قاسياً معي، في ذلك اليوم».

«لم يكن ذلك سوى ردة فعل للدفاع عن النفس. كنت أخاف ان تؤذيني من جديد. والآن، قولي يا ديانا، أيتها الانسانة الرائعة، لماذا كنت قاسية جداً معي؟»

«لأني كنت أغار، فقط لا غير. انه شعور من الصعب التخلص منه وخاصة اني كنت سجينته».

قال جايسون معترفاً:

«وأنا كذلك، لقد عرفت معنى الغيرة وخاصة عندما علمت انك ذهبت الى مزرعة لويس غيبارمو لتمضية بعض الوقت. ومن حظه أنه لم يرني والاّ كانت الاشياء أخذت مجرى آخر».

«كيف امكنك التصوّر ان رجلاً في عمر والدي يمكنه ان يعجبني او

يغريني؟ لا شك أنك احمق!».

أجابها وهو يضحك:

«وأنت امرأة حمقاء اذ تصوّرت ان لي عشيقة في باريس، فقط لأني ذهبت من دون ان أقول لك شيئاً عن هذه الرحلة».

«كيف يمكن ان يجذبني رجل مثل لويس غيبارمو، وانا زوجتك».

«وأنت؟ كيف تصوّرت أني أرغب بالزواج من روزا او كارلوتا، وأنا زوجك؟ انت فعلاً امرأة غيورة!»

«أيزعجك ان تراني غيورة الى هذا الحد؟»

«كلا. ليس الآن. لأني بدأت أعرفك. ان ذلك يجعلك أكثر انسانية. لقد اعتقدت انك انسانة مثالية، ولكن الآن وقد عرفت انك أنت أيضاً تخطئين، صرت أحبك أكثر».

انحنى فجأة وعانقها. وشعرت ديانا بسعادة لا مثيل لها وزال التوتر من داخلها.

سألها:

«هل تقبلين العيش معي هنا في كيتو؟ هل تريدين انجاب أطفال؟»

قالت ديانا مازحة:

«لقد تعذبت من أجل ان تجد لنا منزلاً. ومن الصعب عليّ الرفض. في كل حال، اني أفضل ان أكون معك، في أي مكان من العالم، بدلاً من البقاء في لندن، من دونك، حتى ولو اضطررت الى ان تصفعني وتضربني».

«هل أوجعتك ضربتي يا حبيبتي؟ دعيني أرى!»

همست ديانا بأذنيه:

«لقد، لقد آلمتني، لكن في امكانك ان تعالجني، اذا اردت ذلك».

«كيف؟»

«بأن تبرهن، يا جايسون، انك تحبني، الآن».

«هل تعدينني بأن تثقي بي اذا اضطررت أحياناً الى ان اتغيبّ عنك، او ان أرحل بسرعة، او اذا تأخرت أكثر مما كنت أتوقع؟»

«نعم. اني اعدك بذلك. لقد فهمت الآن كل شيء».

«وأنا كذلك، فهمت اشياء كثيرة. يجب عليّ ان أبذل جهدي حتى اتذكرك وأترك لك رسالة كلما اضطررت الى الرحيل فجأة. وما عليك سوى ان تشتري كمية لا بأس بها من الأقلام والدفاتر الصغيرة وتضعي واحدة منها في كل غرفة و...»

لكن، هذه المرّة، كانت ديانا هي التي جذبته نحوها وعانقته مطولاً ثم قالت له:

« ماريا امرأة حكيمة وعاقلة».

«لماذا؟»

«لأنها قالت لي ذات يوم، ان أجمل شيء في الخصام هو عندما نتصالح. ولقد عشت هذه التجربة الآن. ومن دون شك اني اتفق معها على هذا. وأنت؟»

قال جايسون ضاحكاً:

«بالطبع. لكن من الأفضل ألاّ ننتظر ١٥ شهراً كي نتصالح. هل توافقين على ذلك؟»

«أجل. اني أحبك يا جايسون، اليوم وغداً والى الأبد».

«هل تدركين ما تقولينه؟ هل تلتزمين كلياً وبصورة نهائية؟»

«نعم، يا جايسون. انت تصدقني، أليس كذلك. أرجوك، قل لي أنك تصدقني».

«اني اصدقك، لأني أنا أيضاً سأحبك دائماً، الى الأبد. لقد عشنا في جحيم، مدة ١٥ شهراً، لكننا خرجنا من هذا الجحيم منتصرين».

وأضافت ديانا تقول:

«نعم. الآن، انتهى كل شيء. هيّا بنا نعلم أبي بالأمر ونقول له اني لن أسافر معه غداً».

أجابها ضاحكاً:

«لا داعي لذلك. فقد أخبرته بعد ظهر اليوم، قبل ان آتي الى هنا».

«هل كنت متأكداً من النتائج؟»

«لم أكن متأكداً إلاّ من شيء واحد: انه في وسعك ان تؤذيني قدر الامكان، ومهما كان الأمر، قررت ألاّ أدعك تتخلين عن كونك زوجة لي. وهذه الفرصة، لن أسمح لك بها بعد الآن. هل تفهمين جيداً؟ حاولي ألاّ تنسي ذلك!»

عانقها من جديد وفهمت ديانا ان السعادة تغمرها من جديد ولن تفارقها مدى الحياة.